جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب اللغة العربية

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي
دراسات لغوية
تخصص: لسانيات عربية

رقم: ع/21

إعداد الطالبتين:
سعيدة بن عبد الهادي – سليمة بلعباس

يوم:11/06/2024

بلاغة التعريف والتنكير في الأمثال القرآنية

لجنة المناقشة:

الأمين ملاوي	أ. م	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
إبراهيم بشار	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا
نورة بن حمزة	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:2023 - 2024

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114]

شكروعرفان:

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة، وأعاننا ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

ونتوجه بجزيل الشكر لأستاذنا الفاضل الدكتور: إبراهيم بشار لتشجيعنا منذ البداية على اختيار هذا الموضوع، ونثمّن إشرافه على هذه الرسالة بكل إخلاص، وجزاه الله خيرا عن كل ما بذله من جهد ونصح وإرشاد.

كما نشكر كليتنا "كلية الآداب واللغات" التي فتحت لنا أبوابها وكانت بمثابة بيتنا الثاني.

وأخيرا شكرنا لكل من أسهم من قريب أو من بعيد في إنجاز عملنا هذا.

مقدمـــــــة

الحمد لله الذي له المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، ثم الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المضروب بهم المثل في التوراة والإنجيل، ومن اقتفى أثرهم ولزم نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد:

امتثالالقولهتعالى:﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [مُحَمَّد: 24] جاء البحث في خير الكلام وأبلغه، وهو القرآن الكريم، والذي تتعدد وجوه الإعجاز فيه، ولكل وجه من هذه الوجوه خصوصيته وموضعه الذي لا يقوم مقامه غيره، والمثل القرآني أحد هذه الوجوه، فلقد ضرب الله في كتابه الأمثال، ونهى أن تضرب له، وحث عباده على التّدبر والتفكّر فيها، وذمّ من أعرض عنها، وهذا الاهتمام والإشادة بها راجع لكونها تسعى إلى تحقيق غايات وأهداف تربوية للبشر على اختلاف ميولاتهم واتجاهاتهم وسلوكاتهم، وذلك لما تضمنته من قوانين أخلاقية، وقيم إنسانية صالحة لكل زمان ومكان، كما أن المثل القرآني من أقوى الأساليب البيانية وأقدرها على التّصوير والتمثيل، ومن الأساليب البلاغية التي أضفت لمسة جمالية للأمثال القرآنية أسلوب التعريف والتنكير، والذي يعدّ من أهم القضايا في اللغة العربية، وأحد أدوات الدلالة على المعاني من الناحية الصرفية التركيبية، وبما أن القرآن الكريم أحسن التوظيف السياقي لأسلوب التعريف والتنكير في عرض الأمثال القرآنية بدلالات وأغراض متنوعة، وليتسنى لنا الوقوف على هذه الدلالات المختلفة، جاءت هذه الدراسة والتي أردنا من خلالها الإجابة على الإشكالية الآتية:

ما هي دلالات أسلوب التعريف والتنكير في الأمثال القرآنية؟ وما هي الأغراض البلاغية التي تضمّنها؟ وما القيمة البيانية التي يضفيها أسلوب التعريف والتنكير للمثل القرآني؟

وللإجابة عن الاشكالية المطروحة قمنا بإنجاز هذا البحث الموسوم بـ"بلاغة التعريف والتنكير في الأمثال القرآنية"، حيث اختص بدراسة قسم من أقسام الأمثال وهي الأمثال الصريحة التي أوردها ابن القيم في كتابه "الأمثال في القرآن"، واستثنينا منها ستة أمثال، وهي الأمثال التي تضمنتها الآيات: الآية 66 من سورة البقرة، الآية 103 من سورة آل عمران، الآية 35 من

سورة الرعد، الآية 78 من سورة يس، الآية 15 من سورة مُحَمَّد، الآية 15 من سورة الحشر. وذلك لأنها لم تكن صريحة في التمثيل ولم يتجل فيها مشهد المثل.

وتتجلى أهمية الموضوع في بيان قيمة أسلوب التعريف والتنكير في توضيح معاني الأمثال القرآنية، وما يضفيه من لمسات بلاغية تحدّد المعنى الحقيقي وتكشف عن أسراره.

وفضلا عن أهمية الموضوع تضافرت عدة أسباب لاختيار الموضوع، منها قناعتنا بدراسة هذا الأسلوب الصرفي البلاغي من حيث إنه موضوع شيّق ومهم في فهم المقصود من الأمثال القرآنية، بالإضافة إلى عدم وجود دراسات سابقة في هذا الموضوع في حدود اطلاعنا.

أما هدفنا من هذه الدراسة فهو الكشف عن وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم وهو الأمثال القرآنية، ومحاولة بيان الأثر البلاغي الذي يضفيه أسلوب التعريف والتنكير داخل تركيب المثل القرآني.

وللإجابة عن إشكالية البحث أنجزنا هذه الدراسة باتباع خطة تضمنت مقدمة وثلاثة فصول؛ فصل نظري وفصلين تطبيقيين وخاتمة، حيث تطرقنا في الفصل الأول المعنون بـ"المفاهيم الأساسية في البحث" إلى مجموعة المفاهيم الأساسية التي تتعلق بالبحث، واستدعت طبيعة الموضوع تقسيم هذا الفصل إلى قسمين، أولا قمنا بالتعريف بالأمثال القرآنية وأتينا على ذكر أنواعها وخصائصها وأغراضها، وثانيا تناولنا أسلوب التعريف والتنكير في البلاغة العربية، حيث وقفنا على ماهية كل من التعريف والتنكير وبيان أغراضه البلاغية. أما الفصل الثاني والموسوم بـ "بلاغة التعريف والتنكير في الأمثال المكية" فقسمناه حسب السياقات التي تضمنتها الأمثال المكية إلى: سياق الإيمان والكفر، سياق التوحيد والشرك، سياق الشرك، سياق الضلال بعد الهدى، بيان الحق والباطل، بيان حقيقة الدنيا الفانية، وقمنا باستقراء مواضع أسلوب التعريف والتنكير في الأمثال القرآنية التي تضمنها كل سياق وحاولنا بيان أغراضه، أما الفصل الثالث فهو بعنوان

"بلاغة التعريف والتنكير في الأمثال المدنية" وقمنا بتقسيمه باعتبار السياقات التي تطرقت لها الأمثال المدنية إلى: سياق الإيمان والكفر، حال المؤمنين وأعمالهم، حال الكافرين وأعمالهم، حال المنافقين وأعمالهم، مثل نور الله وهدايته، بيان حقيقة الدنيا الفانية، وقمنا باستقراء مواضع أسلوب التعريف والتنكير في الأمثال القرآنية التي تضمنها كل سياق وحاولنا بيان أغراضه، لينتهي مسار البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدنا المنهج الوصفي الذي يتناسب مع موضوع الدراسة، واستعنا بالتحليل، من خلال وصف البنية التركيبية للأمثال القرآنية وبيان مواضع التعريف والتنكير فيها وتتبّع دلالاتها وتحديد مقاصدها.

ومن أجل إيفاء هذا البحث حقه اعتمدنا في استمداد مادته على عديد من المصادر والمراجع القديمة والحديثة، نذكر منها: الأمثال في القرآن لابن القيم، تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، مفاتيح الغيب للفخر الرازي، إعراب القرآن لمحمد سليمان ياقوت، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي، إعراب القرآن الكريم لمحيي الدين الدرويش، الأمثال القرآنية دراسة تحليلية لمحمد بكر إسماعيل.

ولأن طريق البحث العلمي شاق ومُضنٍ، فقد واجهتنا صعوبات في إعداد هذا البحث، نذكر منها جدة الموضوع وعدم التطرق لقضية التعريف والتنكير في مختلف الدراسات الكثيرة والمتنوعة التي تناولت الأمثال القرآنية، فعدم وجود دراسات سابقة شكّل بالنسبة لنا نوعا من الصعوبة، ومن الصعوبات التي واجهتنا أيضا كون الموضوع متعلّقا بالقرآن الكريم، مما يجعلنا في حرج من التأويل والإضافة، حيث مهما اجتهد الإنسان فيه يبقى مقصّرا بسبب الحذر.

وفي الأخير نحمد الله الذي وفقنا لهذا العمل الذي نأمل أن يكون إضافة طيبة في حقل البحث العلمي، ونسأل الله العلي القدير أن يتقبّله منا ويجعله في ميزان حسناتنا، ونسأله السداد والتوفيق للمشرف الفاضل الدكتور "إبراهيم بشار" الذي قدم لنا النصح والتوجيه في إعداد هذا البحث، فجزاه الله خيرا.

الفصل الأول:المفاهيم الأساسية في البحث

أولا: المثل القرآني:

1. تعريف المثل.
2. تعريف المثل القرآني.
3. أقسام الأمثال القرآنية.
4. خصائصالأمثال القرآنية.
5. أغراض الأمثال القرآنية.

ثانيا: أسلوب التعريف والتنكيرفيالبلاغة العربية:

1. البلاغة العربية.
2. أسلوب التعريف وأغراضه البلاغية.
3. أسلوب التنكير وأغراضه البلاغية.

أولا: المثل القرآني:

1. تعريف المثل القرآني:

1.1تعريف المثل:

بما أن موضوع الدراسة يتعلق بأمثال القرآن الكريم، صار لزاما أن نقف على مختلف الأصول المعجمية لهذا المصطلح والكشف عن دلالتها وتقرير معناها، بالعودة إلى معاجم اللغة لمعرفة الدلالة الأساسية أو الأصلية للكلمة، ثم إلى كتب البلاغة والأمثال لنبيّن مدى العلاقة بين معناها اللغوي والاصطلاحي.

1.1.1المثل في معاجم اللغة:

تعدّ لفظة المثل من الألفاظ الأكثر تداولا وشيوعا بين ألسنة الناس، فلذلك فإن البحث في أصلها اللغوي متاح ضمن معاجم اللغة قديمِها وحديثها.

فقد جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ): "الميمُ والثّاءُ واللّامُ أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُنَاظرَة الشَّيْءِ للشَّيْءِ، وهَذَا مِثْلُ هَذَا، أيْ نَظيرُهُ، والمِثْلُ والمِثَالُ في مَعْنَى واحد. ورُبَّمَا قَالوا مَثيل كَشَبيه".[1]

ويقول ابن منظور (ت711هـ) في لسان العرب: "مَثَلٌ: كَلِمَةَ تَسْوِيَةٍ. يُقَالُ: هذا مِثْلَهُ ومَثَلَهُ، كَمَا يُقَالُ شِبْهُهُ وشَبَهُهُ، (...) والمَثَلُ والمِثِيلُ كالمِثْلِ، والجَمْعُ أَمْثَالٌ، (...) والمِثَلُ: الشَّيْءُ الذي يُضْرَبُ لشَيْءٍ مَثَلًا فيُجْعَلُ مِثْلُهُ".[2]

أما تعريف المثل في المعجم الوسيط فقد جاء على النحو الآتي: "المِثْلُ: الشِّبْهُ والنَّظِير. والمَثَلُوالمِثْلُ جملة من القول مقْتَطَعَةً مِنَ الكَلَامِ، أو مُرْسَلَة بِذاتِها، تُنْقَلُ مِمَّنْ وَرَدَتْ فِيه إلى مُشَابِهِهِ دُونَ تَغْيير، مثل: الصَّيْفَ ضَيَّعْتَ اللَّبَن، والرَّائِدَ لايَكْذِبُ أَهْلُهُ".[3]

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، د ت، ج5، ص297.

2- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، د ت، ص4133.

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ-2008م، ص854.

مما سبق من التعريفات نلاحظ أن معاجم اللغة منها ما جمع بين المَثَلِ بالفتح والمِثْلِ بالكسر وعرّفهما على أنّهما شيء واحد، ومنها ما أشار إلى فرق طفيف بينهما، غير أنّها أجمعت على أن المِثَلَ في أصل مادته يدلّ على معنى الشّبه والنّظير.

2.1.1 .المثل في الاصطلاح:

لقد تعدّدت تعاريفُ المثل بتعدُّدِ المجالاتِ والميادينِ التي ينتمي إليها، فقد عُرِفَ عند أهل اللغة بعدّةِ معانٍ تشتركُ كلُّها في معنى الشّبه والنّظير، أمَّا المِثَل عند الأدباءِ والبلاغيين فيحمل سمة كل مجالٍ ينتمي فيه.

أ. المثل عند الأدباء:

هو قول محكِيٌّ سائرٌ يقصد به تشبيه حال الذي حُكيَ فيه بحال الذي قِيل لأجلِه، أي يشبه مَضرِبُه بمَورِدِه، مثل: رُبَّ رَميَةٍ مِن غير رَام، أي رُبَّ رميةٍ مصيبةٍ حصلت مِن رَامٍ شأنه أن يخطئ.[1]

وجاء في كتاب غريب القرآن للأصفهاني قوله: "المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر، بينهما مشابهة ليبيّن أحدهما الآخر، ويصوره، نحو قولهم: الصيف ضيعت اللّبن، فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت والإمكان أمرك".2

وعليه فإن تعريف المِثلِ عند الأدباء أخُّص منه عند اللّغويين، فهو عندهم قولٌ سائرٌ يحملُ المشابهة بين أمرينِ، له مضْرِبٌ ومَوْرِد، مثل قول العربِ قديمًا: الصّيفَ ضَيَّعتَ اللّبن، وقولهم: رُبَّ رَمية مِن غير رامٍ وغيرها.

ب. المثل عند البلغاء:

المِثل عند علماءِ البيانِ هو: المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشى استعماله، وأصله الاستعارة التمثيلية، كقولك للمتردّدِ في فعلِ أمرٍ: مالي أراك تقدّمُ رجلًا وتؤخّرُ أخرى.[3]

1- ينظر: مناع القحطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دط، د ت، ص275.

2- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار الباز، دط، د ت، ج1، ص497.

3- ينظر : مناع القحطان، مباحث في علوم القرآن، ص276.

"وقد رأى إبراهيم النَّظَّام أنه يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التّشبيه، وجودة الكناية، كما يرى أنه بذلك يحقق نهاية البلاغة".[1]

وخلاصة ما سبق من تعريفات البلاغيين أنهم ذهبوا في تفسير المثل إلى القول بالتشبيه والاستعارة والكناية، التي يحملها ذلك المثل، ويكون على إثرها سائرًا بين الناس، موجز اللّفظ، عذب التركيب، مؤدّيًا للغرض المطلوب.

2.1 تعريف المثل القرآني:

بما أن للمثل القرآني خصوصية فلا يمكن ردّه إلى تعريفات المثل السالف ذكرها، وهذا لما يحتويه القرآن الكريم من خصوصية في النظم والغاية.

يعرّف الأستاذ بكر إسماعيل في كتابه "دراسات في علوم القرآن" الأمثال القرآنية فيقول: "هي تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء ورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة أم بطريق التّشبيه أم بطريق الكناية، فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو التّشبيه أو النّظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب الأدب من تشبيه المضرب بالمورد، ولا يشترط أن يكون فيها غرابة أو طرافة، ولكنّها صور مختلفة لمعان ترد للعبرة والاتّعاظ، وتقريب ما يستعصي على العقول فهمه من الأمور الغيبية، كصفة الجنة وكيفيّة زوال الدنيا، وغير ذلك، سواء صُرّح فيه بلفظ المثل أم لم يُصرّح به، بأن أُرسِل إرسالًا، فاتّخذته الناس مثلًا يحتجّون به، ويعتبرون بما فيه".[2]

وعليه يكون التعريف اللّائق بالمثل القرآني هو: "إبراز المعنى في صورة رائعة، موجزة، لها وقعها في النّفس، سواء كانت تشبيهًا أو قولًا مرسلًا".[3]

1- سميرة عدلي محمّد رزق، وجوه البيان في أمثال القرآن، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1986-1987م، ص04.

2- محمّد بكر اسماعيل، دراسات في علوم القرآن، المكتبة الشاملة، دط، د ت، ص165.

3- مناع القحطان، مباحث في علوم القرآن، ص276.

فتعريف الأمثال القرآنية ليس كتعريف أهل اللغة ولا أهل الأدب والبلاغة، لأن مفهوم الأمثال القرآنية أشمل وأعمّ من المفاهيم التي تضمنتها هذه العلوم، فهي عبارة عن صور مختلفة لمعان صيغت بأسلوب بياني بليغ يصوّر هذه المعاني المختلفة التي ترد للعبرة والاتّعاظ، كما أنها تحمل في طياتها قواعد ومبادئ صالحة لكل زمان ومكان، ووسيلة لتقريب المجرّد بالمحسوس، لذلك فلا يمكن حصرها في تعريف محدد من التعاريف التي تطرّقنا لها سابقًا عند اللغويين والأدباء والبلاغيين.

2. أقسام الأمثال القرآنية:

قسّمت أمثال القرآن الكريم حسب اعتبارات عديدة: منها حسب الشّكل وأخرى حسب المضمون وغيرها من الاعتبارات، غير أن الشائع والمعروف هو تقسيمها إلى صريحة ظاهرة، وكامنة.

جاء في البرهان للزركشي: المثل " قسمان: ظاهر وهو المصرّح به، وكامن وهو الذي لا ذِكْر للمثل فيه وحكمه حكم الأمثال". [1] ووافقه جلال الدين السيوطي حيث يقول في كتابه الإتقان: أمثلة القرآن قسمان: ظاهر مصرّح به، وكامن لا ذِكْر للمثل فيه، إلاّ أنه وبعد التطرق لكل من المصرّح والكامن، أضاف فائدة زاد فيها قسما ثالثا لأقسام الأمثال القرآنية، فيقول: عقد جعفر ابن شمس الخلافة في كتاب الآداب بابًا في ألفاظ القرآن جارية مجرى المثل، وهذا هوالنوع البديعي المسمى بإرسال المثل، وأورده في ذلك **قوله تعالى**: ﴿**لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ**﴾[النجم: 58]، وقوله: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾[آل عمران:92]، وقوله: ﴿**حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾[يوسف:51]،وقوله: ﴿**أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾ [هود:81]، وقوله: ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾[فاطر:43].[2]

إذن فهذا التقسيم جرى بمعيار التصريح بلفظ المثل فإن وجد كان ظاهرا مصرّحًا به، وإن غاب كان كامنًا، أما النوع الثالث فهو ليس من فئة الأمثال إنّما هي أقوال جرت مجراها فأصبحت منها.

1- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الديمياطي، دار الحديث، 1427هـ-2006م، ص326.

2- ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: الشيخ شعيب الأرنؤوط، تع: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، ط1، 1469هـ-2008م، ص674.

وعليه فإن التقسيم المعروف عند العلماء هو:[1]

-الأمثال المصرّحة أو القياسية: وهي التي صُرّح فيها بلفظ المثل أو ما يقوم مقامه.

كقوله تعالى: ﴿ **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ** ﴾[الرعد:35]

وقوله: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ**﴾[النور:35]

- الأمثال المرسلة: وهي جمل قد أرسلت إرسالًا من غير تصريحٍ بلفظ التّشبيه، وكَثُر التّمثيل بها لما فيها من العظة والعبرة والإقناع، وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها في المسلمين، ولم تكن أمثالا في وقت نزوله، وهي في جملتهامبادئ خلقية ودينية مركزة، مثل:

قوله تعالى: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾[عمران:92]

وقوله: ﴿**حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾[يوسف:51]، **وقوله:** ﴿**وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ**﴾[البقرة:216]،وقوله: ﴿ **مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾[المائدة:99]

-الأمثال الكامنة: وهي أمثال لم تضرب لبيان حال خاصة، ولا لصفة معيّنة، ولا لتلخيص حادثة وقعت في زمن من الأزمان، ولم يصرّح فيها بالتّمثيل من قريب ولا من بعيد، ولكن يدلّ في مضمونها على معنى يشبه مثلًا من أمثال العرب المعروفة، أي: أنها أمثال بمعانيها لا بألفاظها، فالتمثيل فيها كامن غير ظاهر، لهذا أسموها بالأمثال الكامنة.

ومن أمثلة الأمثال الكامنة:[2]

-ما في معنى قولهم: "خير الأمور أوسطها"، قوله تعالى في وصف البقرة: ﴿**لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ**﴾[البقرة :68].

وقوله في النفقة: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾[الفرقان:67].

1- ينظر: محمّد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ص166.

2- ينظر: مناع القحطان، مباحث في علوم القرآن، ص279.

وقوله أيضا في الإنفاق: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾[الإسراء:29].

-وما في معنى قولهم:"ليس الخبر كالمعاينة"، قوله تعالى:﴿**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ [البقرة:260].

-وما في معنى قولهم: "كما تدين تدان"، **قوله تعالى:** ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾[النساء:123].

ويتضح مما سبق ذكره أن الأمثال تنقسم إلى مصرّحة وكامنة، وذلك باعتبار ذكر لفظ المثل وعدم ذكره، فالمصرّحة هي التي صرّح فيها بلفظ المثل، والكامنة هي التي تشابه في مضمونها مثلًا من أمثال العرب، أما المرسلة فهي عبارات جرت مجرى الأمثال لعمق دلالتها، وجزالة لفظها، وإيجازها، فأصبحت منها.

3. خصائص الأمثال القرآنية:

للمثل خصائص وسمات فنيّة تميّزه عن باقي الأساليب البيانية المعروفة. وقد لخّصها ابن القيم في قوله: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه، جودة الكناية، فهو نهاية البلاغة."[1]

فكيف لو نقصد بوجه خاص أمثال القرآن الكريم، التي جمعت تلك السّمات وبلغت الذُّروة فيها، والتي أعطاها الحقُّ أهمية بالغة، فقال عزّ وجلّ:﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[العنكبوت:43]

قال مُحَمَّد بكر إسماعيل بعد أن شرح خصائص المثل وسماته بوجه عام: وأمثال القرآن مستوفية لهذه الخصائص إلى حدّ الإعجاز، فالإيجاز فيها من الدّقة بحيث يسع اللفظ الواحد من المعاني المرادة مالا تسعه المجلّدات الضّخام، في حين نجد الأمثال السائدة في كلام النّاس تعزوها الدّقة والطلاوة، أو البراعة في التعبير وكثير منها يخلوا من صفة الثّبات، فتتغيّر وتتلاشى مع مرّ العصور، أمّا أمثال القرآن الكريم فهي قواعد كلية

1- ابن القيم، الأمثال في القرآن، تح: سعيد مُحَمَّد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، د ت، 1981م، ص22.

تجمع تحتها كلّ القوانين الأخلاقية والقيم الانسانية، لذا كانت خالدة على مرّ الأزمان، مقبولة عند العامة والخاصة، مستساغة لدى الطّباع المستقيمة والعقول السليمة.[1]

من هنا كان المثل القرآني، لما يتميّز به من سمات، من أهمّ أساليب التربية على مرّ العصور والأزمان وهو شكل من أشكال البيان المقنعة للأذهان، والممتعة للآذان، والمؤثّرة في الوجدان، أعجز بلاغة العربي وفاق أمثاله بجدارة.

"هذا والمثل القرآني فوق ما ذكرناه يتميّز عن غيره بتصوير الحقائق المجرّدة تصويرًا لا يبعُد عن الواقع المحَس، بمعنى أن ما فيه من تشبيه أو استعارة، أو كناية، أو مجاز، إنّما هو من مقوّمات الوصول إلى الحقِّ والحقيقة، بعيدًا كلّ البُعد عن الخيالِ المقصود، لذاته بغية الإمتاع الذهني والعاطفي".[2]

ويقول الباحث يزيد حمزاوي في هذا الصّدد: "كأنها آلة تصوير فوتوغرافي تضع الصّورة بكافّة ألوانها وأبعادها أمام المخاطَب، الذي ينظر إلى تلك الصّورة فيدرك جميع تفاصيلها، ممّا لا يترك بعده مجالًا للجهل والشكّ والإنكار".[3]

ومما سبق ذكره نرى أن المثل له خصائص فنيّة عامّة تميّزه عن باقي الأساليب، ومن حكمة المولى أن جعل في هذا القرآن المعجز أمثالا معجزة، تفوق في مميزاتها أمثال العرب، فتُضرب للبيان والإيضاح، وتحمل معاني الوعد والوعيد، والمدح والذم، والترغيب والترهيب، في أحسن الصّور وأقربها للمخاطب.

4. الأغراض البلاغية للأمثال القرآنية:

كما عرفنا سابقًا عن أمثال القرآن الكريم قد تميّزت عن أساليب البيان الأخرى؛ لأنها قد بلغت خصائص الأمثال العامة واستوفتها، وهذا التميز قد أثمر أغراضًا ومقاصد عديدة لا يمكن حصرها لكثرتها، فلكل مقصد عام مقاصد فرعيّة، تتصل به وتتفرّع عنه، لكنّها تجتمع وإن تشبّعت في غاية واحدة.

1- ينظر: محمّد بكر اسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ص169.

2 المرجع نفسه، ص170.

3- يزيد حمزاوي، المدلولات التربويّة للأمثال القرآنية، دراسة تحليلية، مذكرة ماجستير، قسم علم النفس، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 2006/2005م، ص46.

قال بكر إسماعيل: "وأغراض ضرب الأمثال في القرآن لا تنحصر، لكنّها ترد في جملتها إلى مقصدٍ واحد، وهو بيان الحقّ الذي جاءت به الرّسل لهداية الخلق، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده والانقياد لطاعته، عزّ وجلّ، وبذلت بوضع منهج متكاملرُوعيت مصالح العباد في العاجل والآجل".[1]

إذن فللأمثال القرآنية أغراض سامية عديدة، يجمعها غرض رئيس تدور حوله، وهو بيان مراد الله عزّ وجلّ عن طريق الحثّ على العمل الصالح بالترغيب فيه، والزّجر والنهي عن العمل السيئ بالترهيب منه، كما تفيد المدح والذم والوصف والاعتبار والتّقرير وغيرها.

وقد ذكر الإمام الزركشي بعضًا من أغراض ضرب الأمثال القرآنية فقال: وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التّذكير والوعظ والحثّ والزّجر والاعتبار، والتقرير وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، وتأتي كذلك مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم، وعلى الثّواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر.[2]

وعلى هذا يتبيّن أن لضرب الأمثال في القرآن الكريم أغراضا عديدة يمكن التّفصيل فيها كالآتي:

أ.تقريب صورة الممثل إلى ذهن المخاطَب: فقد يكون لدى المخاطب نوع جهالة حول الممثل له، ويراد رفعها عنه والتّمثيل قد يكون وسيلة سهلة للتعليم ورفع الجهالة، بل ربّما كان أحسن الوسائل ومن أمثلة ذلك قوله تعالى عن الحور العين في الجنة، وهنّ ذوات صورٍ يمكن أن تدرك بالحسّ الظاهر، ولكنّهنّ مجهولات لنا، بعيدات الآن عن إدراكنا الحسي، وعن تصوّراتنا الخيالية، فيقرّب الله لنا طرفًا من صورة لون بشرتهن، فيقول تعالى:﴿ **كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**﴾[الواقعة:23]، فاللؤلؤ المحفوظ مثال لألوان بشرتهن ونعومتها بصورة تقريبيّة، مع الفارق العظيم بين الممثّل له والممثّل به.[3]

فهذا المثل جاء لإبراز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبّله العقل لأن المعاني المجرّدة لا تستقرّ في الذهن، إلاّ إذا وضعت في صورة حسيّة ظاهرة وأمثلة ذلك كثيرة في آي الذّكر الحكيم، نذكر منها

1- محمّد بكر اسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ص171.

2- ينظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص326.

3- ينظر: عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، الأمثال القرآنية، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1400هـ-1980م، ص40.

قوله تعالى في وصف الولدان:﴿ **وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا**﴾ [الإنسان:19].

ب.التّرغيب والتّرهيب بذكر محاسن ما يرغب فيه ومساوئ ما ينفر منه: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في وصف الكلمة الطيّبة والخبيثة: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(25)وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾ **[**إبراهيم:24،25،26].[1]

والترغيب بالأمثال وسيلة فعّالة تكون بتزيين الممثل له والدعوة له، بإبراز محاسنه ومميزاته، مثل ما قيل عن الكلمة الطيبة في الآية، وعكسه في الكلمة الخبيثة، فالتّرهيب يكون عن طريق التحذير منه بذكر صفاته الشّنيعة بغية التّنفير وتقويم السّلوك.

ج.ضرب الأمثال للمدح أو الذم أو التعظيم أو التّحقير: فالمدح مثل قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح:29]، وكذلك حال الصحابة فإنهم كانوا في بدء الأمر قليلًا، ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم، وامتلأت القلوب إعجابا بعظمتهم.[2]

-أما الذم فمثل قوله تعالى:﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الجمعة:05].

1- محمّد بكر اسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ص172.

2- ينظر: مناع القحطان، مباحث في علوم القرآن، ص282.

"لقد كان من الممكن أن يختارفي المثل بدل الحمار الجمل أو الحصان، فهما أيضا لا يفقهان شيئًا مما يحمّل على ظهورهما من أسفار العلم، لكن التمثيل بالحمار أبلغ في الذم، لاشتهار الحمار عند الناس بالبلادة والغباوة والجهالة المفرطة".[1]

-وفي العظم والحقارة أشار الزمخشري إلى أهمية المثل في ترجمة المعاني والتعبير عن أغراض التعظيم والتّحقير بالصورة التي يكون عليها حال الممثل، فقال: إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء التوهّم من المشاهد، فإن كان التّمثيل له عظيمًا كان المتمثِّل به مثله، وإن كان حقيرًا كان المتمثِّلُ به كذلك، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلاّ بأمر استدعته حال الممثّل له ألا ترى أن الحقّ لما كان واضحًا جليًا مثل له بالضياء، وأن الباطل لما كان بضدّه تمثّل له بالظّلمة.2

والأمثلة تحت هذا العنوان كثيرة إذ نلاحظ أن أغلب أغراضها جاءت تحمل لنا دلالة المعنى وضدّه، إمّا مدحًا وذمًا أو تعظيمًا وتحقيرًا،وتجسّد لنا فهذه المعاني بأسلوب بارع فتجعل الإنسان محبًا مقتديًا في سياق المدح والتّعظيم، كما تجعله كارهًا نافرًا في سياق الذم والتحقير.

د. الإقناع بأمر من الأمور: وهذا الإقناع قد يصل إلى إقامة الحجّة البرهانية التي تفيد اليقين، وقد يقتصر على مستوى الحجّة الخطابية التي تفيد الظنّ، وقد يقتصر على لفت النّظر ويكفي فيه إيراد المشابه ولو لم يشتمل على أيّة حجّة.[3]

ومن الشّواهد القرآنية التي يقصد بها الإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع مشتمل على حجّة برهانية قوله تعالى:

﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾[يس:78].

قال ابن عاشور: والمثل: تمثيل الحالة، فالمعنى: وأظهر للناس وأتى لهم بتشبيه حال قدرتنا بحال عجز الناس، والاستفهام في قوله: "من يحيي العظام" إنكاري، و"من" عامة في كلّ من يسند إليه الخبر، فالمعنى:

1- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، الأمثال القرآنية، ص75.

2- ينظر: الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1340هـ-2009م-1922م، ص64.

3- ينظر : محمّد اسماعيل بكر، دراسات في علوم القرآن، ص172.

لا أحد يحيي العظام وهي رميم. فشمل عمومه إنكارهم أن يكون الله تعالى محييًا للعظام وهي رميم، أي في حال كونها رميمًا.[1]

وقوله أيضا في سورة الروم: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[الروم:27]

فالمثل هنا يتضمّن حجة برهانية على قدرة الله سبحانه وتعالى بأنه يستطيع فعل ما يشاء، فهو خالق كل شيء، وهو القادر الذي لا يعجزه شيء.

ومن الشواهد على الأمثال التي فيها حجج خطابية، قوله تعالى:﴿ **ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الروم:28]

ومن الأدلة الخطابية في هذه الآية خطاب الله للمشركين في سؤاله لهم: "هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم" أي: أيها المشركون هل ترضون لأنفسكم شركاء مما تملكون من أرقاء حتى تجعلوهم مالكين معكم لما تملكون مما رزقكم الله؟ إذا كنتم لا ترضون شيئا من ذلك لأنفسكم، أترضون مثله لبارئكم؟[2]

فالحجّة المتضمّنة في المثل حجة خطابية قياسية؛ فقد خاطب المولى المشركين بحجج قياسية فإن كانوا لا يرضون مشاركة رزقهم مع العبيد وغيرهم، فكيف يرضون ذلك لرب كل شيء سبحانه، والأمثلة من هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[الزمر:29].

هـ.ضرب الأمثال للتذكرة والعبرة:فالأمثال أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزّجر، وأقوم في الإقناع، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[الزمر:27]،وقال

1- ينظر : الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتّنوير، الدار التّونسية، ج23، ص74-75.

2-ينظر : عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، الأمثال القرآنية، ص50.

أيضا: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[العنكبوت:43]،وضرب النبي ﷺ هذه الأمثال في أحاديثه، واستعان بها الدّاعون إلى الله في كل عصر لنصرة الحقّ وإقامة الحجّة، كما تتّخذ هذه الأمثال وسيلة من وسائل الإيضاح والتشويق والتربية، والتّرغيب والتّرهيب.[1]

ثانيا: أسلوب التعريف والتنكير في البلاغة العربية:

1. البلاغة العربية:

1.1تعريف البلاغة:

أ. لغة:

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس(ت395هـ): "الباء واللّام والغين أصلٌ واحدٌ وهو الوصولُ إلى الشَّيءِ. تقول بَلَغْتُ المكَانَ إذا وَصَلْتَ إليه (...) وكذلك البَلَاغَة التي يُمْدَحُ بها فَصيحُ اللِّسَانِ، لأنه يبلغُ ما يُريدُه".[2]

ويذهب الجوهري(ت398هـ) إلى المعنى نفسه: "بَلَغْتُ المكَانَ بُلُوغًا وَصَلتُ إليه، وكذلك إذا شَارفتُ عليه، (...) وبَلَغَ الغُلَامُ: أدرك، والإبْلَاغُ: الإيصَال، كذلك التَّبليغ، والاسم منه البَلَاغ. والبَلَاغ أيضا: الكِفَايَة".[3]

كما جاء في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ): "بَلَغَ الشَّيْءُ يَبْلُغُ بُلُوغًا وبَلَاغًا: أي وَصَلَ وانْتَهَى، وأَبْلَغَهُ هو إِبْلَاغًا وبَلَّغَهُ تَبْلِيغًا، (...) وتَبَلَّغَ بالشَّيْءِ: وَصَلَ إلى مُرَادِهِ، وبَلَغَ مَبْلَغَ فُلَانٍ ومَبْلَغَتِهِ".[4]

وإلى نفس المعنى يذهب الفيروز أبادي (ت817هـ) بقوله: "بَلَغَ المكَانَ بُلُوغًا، وَصَلَ إليهِ أو شَارَفَ عَلَيْهِ، وقَدْ بَلَغَ مَبْلَغًا".[5]

1- ينظر : مناع القحطان، مباحث في علوم القرآن، ص283.

2- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص301-302.

3- الجوهري، تاج العروس، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م، ص111.

4- ابن منظور، لسان العرب، ص345-346.

5- الفيروز أبادي القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1429هـ-2008م، ص157.

مما سبق ذكره من التعاريف نتوصّلُ إلى أن البلاغةَ في اللغة تعني الوصول والانتهاء إلى الشّيء، ومنه سميَ فصيحُ اللّسانِ بليغًا لأنه يبلغ مرادَه من الكلامِ.

ب. اصطلاحا:

أورد الجاحظ (ت255هـ) في كتابه البيان والتبيين نصًّا للعتابي (ت220هـ) عندما سئل عن البلاغة، يقول الجاحظ: " حدثني صديق لي قال: قلت للعتابي ما البلاغة؟ قال:كلّ من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كلّ خطيب، فإظهار ما غمض من الحقّ، وتصوير الباطل في صورة الحق. قال: فقلت له: لقد عرفت الإعادة والحبسة، فما الاستعانة؟ قال: ألا تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، وياهذا، ويا هيه، واستمع مني واستمع إلي، وافهم عني، أولست تفهم، أولست تعقل. فهذا كله وما أشبهه عيّ وفساد". [1]

فالعتابي يشير إلى أنّ مرتبة البلاغة تقف عند إفهام المخَاطب دون إعادة ولا حبسة ولا استعانة، وجعل فوق مرحلة البلاغة مرحلة تزُوق الألسنة وتفُوق الخطباء هي بإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق.

كما يورد الجاحظ تعريفًا آخر للبلاغة، يقول: "وقال بعضهم –وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوّناه– لا يكون الكلام يستحّق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك".[2]

فالجاحظ لم يعرف البلاغة لكنه بعد أن ذكر عديدًا من تعريفاتها، اختار لها تعريفا أعجبه، وهو أن يكون معنى الكلام أسبق إلى قلب المخاطَب من لفظه.

ويعرف أبو هلال العسكري (ت395هـ) في كتابه الصناعتين البلاغة بقوله: "البلاغة كلّ ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن. وإنما جعلنا

1- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دط، دت، ج1، ص113.
2- المرجع نفسه، ص115.

حسن المعرض، وقبول الصّورة، شرطًا في البلاغة؛ لأن الكلام إذا كانت عبارته رثّة ومعرضه خلقا لم يسم بليغا، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى".[1]

فالبلاغة عند أبو هلال العسكري أيضا تقف عند إفهام المخاطَب، فالبليغ هو من يقدر على إفهام المخاطَب المعنى كما يريده أن يفهمه، كما يضع شرطًا للبلاغة وهو أن يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا.

ويقول الجرجاني (ت471هـ): "البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال، والمراد بالحال الأمر الداعي إلى التكلّم على وجه مخصوص مع فصاحته أي فصاحة الكلام، وقيل البلاغة: تنبئ عن الوصول والانتهاء، ويوصف بها الكلام والمتكلّم فقط دون المفرد".[2]

فالجرجاني لا يفرق بين البلاغة والفصاحة، فالمصطلحين مترادفين عنده، وهو يعبر بهما عن مناسبة الكلام للمقام الذي ذكر فيه.

وقال ابن الأثير (ت637هـ) في تعريف البلاغة: " البلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، وهي أخصّ من الفصاحة (...) فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغا".[3]

يخالف ابن الأثير الجرجاني ويفرق بين البلاغة والفصاحة، فالبلاغة عنده أعمّ من الفصاحة فهي شاملة للألفاظ والمعاني.

مما سبق ذكره من التعاريف نستنتج أن بلاغة الكلام هي مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه، فالبلاغة ليست في اللفظ وحده، وليست في المعنى وحده، لكنّها بحسن انسجامهما، فالكلام البليغ هو الذي يبلغ قلب السامع ويمكّن المعنى في نفسه ولا يحصل ذلك إلاّ بانسجام لفظه مع معناه،وبلاغة المتكلم هي معرفته أحوال المخاطَبين وقدرته على إلباس كلّ حالة لبُوسها، أي قدرته على تأليف كلام يناسب كلّ حالة، وتلك غاية لا يصل إليها إلاّ من كان ذا ملكة يقدر بها على التّصرف في أغراض الكلام.

1- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي مُحَمَّد البجاوي، مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ-1952م، ص10.

2- الجرجاني، معجم التعريفات، تح: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، دت، ص43.

3- ابن الأثير، المثل السائر، تح: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، دط، دت، ج1، ص70.

2.1 علوم البلاغة:

قسم البلاغيون علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام:

1.2.1 علم المعاني:

إن الكلام البليغ هو الذي يصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين، لذلك عليه أن يكون على دراية بهذه الأحوال، لكي يعرف كيف يصوّر كلامه في كل حالة، فيجعل لكل مقام مقالا، وقد اتفق العلماء على تسمية العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي باسم "علم المعاني".[1]

قال السكاكي (ت626هـ): اعلم أن علم المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، وأعني بتراكيب الكلام تراكيب البلغاء، لا الصادرة عمن سواهم، وأعني بخاصية التركيب: ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب.[2]

فعلم المعاني مصطلح يطلق على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف وتنكير، أو قصر، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب. [3]

فالكلام البليغ هو الذي يفهمه المخاطب عند سماع التركيب، ولا يتم ذلك إلاّ إذا كان المتكلّم على دراية بأحوال اللّفظ، والمقصود بهذه الأحوال حالته في التعريف والتّنكير، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل، وكل هذا يندرج تحت القسم الأول من أقسام البلاغة، وهو علم المعاني.

2.2.1 علم البيان:

يعرّفه السكاكي: "هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقته الكلام لتمام المراد منه".[4]

1- ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مطبعة الاعتماد، مصر، ط10، 1358-1939م، ص47.

2- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، تع: زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ-1983م، ص161.

3- ينظر: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م، ص67.

4- السكاكي، مفتاح العلوم، ص161.

فعلم البيان هو ذلك العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بصور مختلفة في وضوح الدلالة بحسب مقتضيات الأحوال، فهو عبارة عن قواعد وأصول يعرف بها الدارس والأديب الناشئ تصريف المعنى الواحد في صور مختلفة في وضوح الدلالة، فبعضها واضح وبعضها أوضح، أو بعضها خفي لكنّه الخفاء المحبّب المثير الذي يتطلّبه الموقف، مثل الكناية أو بعض أنواع الاستعارة.[1]

وموضوع هذا العلم: التّشبيه وأنواعه وأغراضه، الحقيقة والمجاز، الاستعارة وأنواعها، الكناية وأقسامها، الصورة الشعرية ومكوناتها.[2]

إذن فعلم البيان هو علم تصريف المعاني بصورٍ مختلفةٍ حسب مقتضيات الأحوال، فيجعل للمعنى الواحد ألوانًا مختلفة قد تزيده وضوحًا، وقد تزيده خفاءً محبّبًا يتطلّبه المقام الذي ذكر فيه مما يزيده جمالًا وإبداعًا، وهذا ما تهتم بدراسته مباحث هذا العلم من تشبيه واستعارة وغيرها.

وواضع هذا العلم هو أبو عبيدة الذي دون مسائله في كتابه مجاز القرآن، ومازال ينمو حتى وصل إلى الإمام عبد القاهر الذي أحكم أساسه وشيّد بناءه، ورتّب قواعده.[3]

3.2.1 علم البديع:

يعرّفه الخطيب القزويني: هو علم يبحث في طرق تحسين الكلام، وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللّفظي أو المعنوي، وسمي بديعًا لأنه لم يكن معروفًا من قبل، ومن أهم أساليب علم البديع: الجناس، الطّباق، السّجع، المقابلة، التورية.[4]

فعلم البديع علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنًا، وتكسوه رونقًا، بعد مطابقته لمقتضى الحال، مع وضوح دلالته على المراد لفظا معنى.[5]

1- ينظر: مُحَمَّد إبراهيم شاوي، علوم البلاغة، دار اليقين، مصر، ط1، 1432هـ-2011م، ص40.

2- ينظر: مُحَمَّد إبراهيم شاوي ، علوم البلاغة، ص260.

3- ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص255.

4- ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م، ص5-6.

5- ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص375-376.

وتحسين الكلام يكون عن طريق محسّنات قسّمها العلماء إلى قسمين:[1]

-المحسّنات المعنويّة: مثل: الطّباق، المقابلة، المبالغة، التورية، الالتفات، الاقتباس، وغيرها.

-المحسّنات اللفظية: مثل: الجناس، السّجع، التصريع، الموازنة، ردّ العجز إلى الصّدر، وغيرها.

إذن فعلم البديع يهتم بدراسة الأساليب والمحسنات اللفظية والمعنوية، والتي تزيد المعنى جمالًا وحسنا، بعد مطابقته لمقتضى الحال، وبعد وضوح دلالته.

2. أسلوب التعريف وأغراضه البلاغية:

1.2 تعريف التعريف:

أ. لغة:

بالنظر للمادة الأصلية "عرف"، نجد أنها تدلّ على أمور حسيّة وأخرى معنويّة.

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ): "العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض، والآخر على السّكون والطّمأنينة، فالأول العُرف: عُرف الفرس. وسمي بذلك لتتابع الشّعرعليه.(...) والأصل الآخر المعرفة والعرفان. تقول: عرف فلان فلانًا عرفانا ومعرفة. وهذا أمر معروف. وهذا يدلّ على ما قلناه من سكونه إليه، لأنّ من أنكر شيئًا توحّش منه ونبا عنه".[2]

ويقول الجوهري (ت398هـ) في الصحاح: "يقال عرف الرجل فهو معروف والمعروف ضدّ المنكر، والعرف ضدّ النكر".[3]

كما جاء في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ): "يقال: أعرف فلان فلانا وعرّفه إذا وقّفه على ذنبه ثمّ عفا عنه. وعرفه الأمر: أعلمه إيّاه. وعرّفه بيته: أعلمه بمكانه. (...) والتّعريف الإعلام. والتّعريف أيضا إنشاد الضّالة. وعرّف الضّالة: نشدها".[1]

1 -ينظر : مُحَمَّد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م، ص27.
2- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص281.
3- الجوهري، الصحاح، ص759.

بعد عرض التعريفات اللغوية لمادة "عرف"، يتّضح لنا استعمالها للمحسوسات بمعنى التّتبع، أما للمعنويات فينحصر دلالتها في العرفان والإعلام وإنشاد الضّالة، وهي ضد النكرة.

ب. اصطلاحا:

أسلوب التعريف من الأساليب البديعة في البلاغة العربية، ولما له من أهمية في الكشف والإيضاح عن معان جديدة أولاه علماء البلاغة اهتماما.

يقول الجرجاني (ت471هـ):"التعريف: عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر".[2]

جاء في مفتاح العلوم للسكاكي (ت626هـ) في فصل تحدّث فيه عن تعريف المسند إليه: وأما الحالة التي تقتضي تعرفه، فهي إذا كان المقصود من الكلام إفادة السّامع فائدة يعتمد بمثلها. والسبب في ذلك أن فائدة الخبر لما كانت هي الحكم، (...) أن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد، كانت الفائدة في تعريفه أقوى، ومتى كان أقرب كانت أضعف. وبعد تحقق الحكم بحسب تخصيص المسند إليه، والمسند كلّما ازداد تخصيصا ازداد الحكم بعدا، وكلّما ازداد عموما ازداد الحكم قربا".[3]

ويقول ابن الأثير (ت637هـ): "المعرفة ما دلّت على شيء بعينه".[4]

كما نجد لأسلوب التعريف تعريفات عند المحدثين، ومن هذه التعريفات نذكر ما أورده أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة في مبحث تعريف المسند إليه: "حق المسند إليه أن يكون معرفة، لأنه المحكوم عليه الذي يَنبَغي أن يكون معلومًا ليكون الحكم مفيدًا".[5]

ويعرّفه فاضل السامرائي بقوله: "المعرفة ما وُضِع لشيءٍ معيّن"[6]

1- ابن منظور، لسان العرب، ص2898.

2- الجرجاني، معجم التعريفات، ص56.

3- السكاكي، مفتاح العلوم، ص178.

4- ابن الأثير، جوهر الكنز، تح : زعلول سلام، دار المعارف. الاسكندرية، مصر، ص288.

5- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيا والبديع، ص130.

6- فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ-2000م، ص41.

وهي كذلك عند سعيد الأفغاني: كل اسم دلّ على مُعين من أفراد جنسِه فهو معرفة، مثل: أنت، وخالد، وبيروت، وهذا، والأمير، وشقيقي.[1]

ومنه نستنتج أن التعريف عند البلاغيين القدماء منهم والمحدثين هو ما دلّ على التعيين والتّخصيص، وعكسه النّكرة.

2.2 أقسام التعريف وأغراضه:

قال سيبويه: "فالمعرفة خمسة أشياء: الأسماء التي هي أعلام خاصة، والمضاف إلى المعرفة، والألف واللام، والأسماء المبهمة، والإضمار".[2]

وتحدث السكاكي في موضع تخصص المسند إليه بأحد المعارف يقول: وهي: المضمرات، الأعلام، المبهمات؛ أعني الموصولات، وأسماء الإشارة، المعرّفات باللام، والمضافات إلى المعارف إضافة حقيقية.[3]

ونظمها ابن مالك في ألفيته:[4]

فمضمر أعرَفها، ثم العلم واسم إشارة، وموصول مُتِم

وذو أداة أو منـــادى عيّنا أو ذو إضافـــة بها تبيّنـــا

إذن فالمعرفة في اللغة خمسة أشياء، أعرَفها الضّمير يليها العلم والمبهمات وهي الموصولات وأسماء الإشارة ثم المعرّف باللام وأخيرًا المضاف إلى المعارف.

وتوظيف المعارف يرتبط بالمقام، وما يتضمّنه حال المخاطب، ومقاصد الكلام، لذا على المتكلم أن يكون دقيقًا في اختيار المعارف، لأن كل منها له غرض بلاغي يضيفه إلى الكلام.

1- سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، دط، دت، ص92.

2- سيبويه، الكتاب، تح : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط2، دت، ج2، ص05.

3- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص178.

4- ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريري، دار المأمون للتراث، ط1، 1406هـ-1986م، ص222.

1.2.2 التعريف بالإضمار (الضمير) وأغراضه البلاغية:

ب. التعريف بالإضمار:

وإنّما يسمى مضمرا في قولهم: "أضمَرْت الشَّيء" إذا أسْتَرته وأخفَيْتُه، أو من الضّمور وهو الهزال لأنه في الغالب قليل الحروف، أو لعدم صراحته كالأسماء المظهرة.[1]

فالضمير يستر الاسم الصريح حسب المقام، فإذا كان المقام مقام حديث المرءِ عن نفسه أو معه غيره جيء بأحد ضمائر المتكلّم، وإذا كان المقام مقام المخاطبة بالإفراد أو الجمع ناسبه ضمائر المخاطب، وإذا كان المقام حديثًا عن الغائب جيء بضمائر الغائب.

"وهي ألفاظ مختصرة موجزة يُستغنَي بها ظاهرة أو مضمرة عن ألفاظٍ تحتاج عند النّطق أزمانًا وجهدًا أطول وأكثر".[2]

عدّها فاضل السامرائي بقوله: "الضمائر كثيرة فهناك ضمائر الرّفع المنفصلة، وضمائر النّصب المنفصلة والمتّصلة، وضمائر الجرّ ولا تكون إلاّ متّصلة".[3]

والجدير بالذّكر أن الضّمائر من أعرَف المعارف كما قال أهل العلم، تفيد في اختصار الكلام، وتجنّب الإطناب، والإضمار بها لا يكون إلاّ بمعرفة سابقة للضّمير.

قال سيبويه: "وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تضمر اسما بعد ما تعلم أن يُحّدث قد عرف من تعني وما تعني، وأنك تريد شيئًا يعلمه".[4]

ب. أغراضه البلاغية:

سبق وقلنا أن الضمائر في اللغة ثلاثة أقسام هي: ضمائر المتكلّم والمخاطب والغائب، ويأتي كل منها مسندًا إليه حسب المقام والسّياق الذي ذكر فيه.

1- ينظر : ابن هشام، شرح شذور الذّهب، تح: محمّد أبو الفضل عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، ص75.

2- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ-1996م، ج1، ص411.

3- فاضل السامرائي، معاني النحو، ص43.

4- سيبويه، الكتاب، ج2، ص06.

– ضمائر المتكلم:

قال السكاكي: "أما الحالة التي تقتضي كونَه مضمرًا فهي إذا كان المقام مقام حكاية"[1]

ونقصد بمقام الحكاية؛ مقام يتحدّث فيه المتكلّم عن نفسه وهذا لما فيه من الدّقة في التّعيين والتّخصيص، وأمثلة هذا النّوع كثيرة، نذكر منها:

-ضمير المتكلّم "أنا" في قول المتنبي:[2]

أنا ابن اللقاء أنا ابن السّخاء أنا ابن الضِّراب أنا ابن الطِّعان

أنا ابن الغيافي أنا ابن القوافي أنا ابن السّروج أنا ابن الرِّعان

-ومن آيات الذّكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**﴾[مريم:18،19].

فجاء ضمير المتكلّم لرفع اللّثام وتحقيق المعرفة بالكشف عن الذّات.

-ضمير المتكلم "نحن" في قول الشاعر:

ونحن التّارِكون لما سَخَطن ونحن الآخذون لما رضينا[3]

-ومن آيات الذّكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:30]

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص179.

2- المتنبي، ديوان المتنبي، دار بيروت، 1403هـ-1983م، ص33.

3- السكاكي، مفتاح العلوم، ص179.

-ضمائر المخاطب:

"إذا كان المقام مقام مخاطب واحد أو أكثر جيء بالضمير المناسب للمخاطب، فردًا أو مثنى أو جمعًا".[1] وأمثلته كثيرة نذكر منها:

قول ابن الدّمينة:[2]

وأنتِ التي كلَّفتني دَلجَ السُّرى وَجونُ القَطا بالجَلهتَينِ جُثومُ

وأنتِ التي قَطَّعتِ قلبي حَزازَةً وقَرَّفْتِ قَرحَ القلبِ فهو كَليمُ

وأنتِ التي أحْفَظتِ قومي فكُلُّهُم بعيد الرِّضا داني الصُدود كَظيمُ

وقوله تعالى في حكاية خطابه لموسى عليه السّلام:﴿ **اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (44)** [طه:42،43،44].فضمير المخاطب لا يأتي فقط للإشارة، بل يأتي لأغراض بلاغية على حسب السياق الذي ورد فيه، فقد يأتي للمدح أو الذم ويأتي لتعظيم شيء أو تحقيره وقد يرد للفت الانتباه والإشارة والأمر وغيرها.

-ضمائر الغائب:

" فإذا كان المقام مقام الحديث عن غائب أو أكثر جيء بالضمير المناسب للمتحدّث عنه فردًا أو مثنى أو جمعًا".[3]

فضمائر الغائب هي النوع الثالث من الضمائر، وتختلف عن ضمائر المتكلم والمخاطب من حيث دلالتها على الغائب، في حين تدلّ ضمائر المتكلّم والمخاطب على الحاضر.

1- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ص411.

2- أبو تمام، الحماسة، تح: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، المجلس العلمي، السعودية، 1401هـ-1981م، ج2، ص125.

3- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ص412.

ومثاله قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**﴾[آل عمران:91].

2.2.2 التعريف بالعلمية وأغراضه البلاغية:

أ. التعريف بالعلمية:

العلم اسم موضوع لمعين من غير احتياج إلى قرينة، مثل: خالد، رعد، دمشق، الجاحظ، أبو بكر، أم حبيبة، والأعلام منها المفرد ومنها المركب، وإليك أنواعها: المركب الإضافي: عبد الله وأبي بكر، المركب المزجي: حضرموت، ومعد يكرب، والمركب الإسنادي: ما كان جملة في الأصل مثل: تأبط شرا، الشاعر المعروف. والعلم إذا تصدّر بـ"أب" أو "أم" سمي كنية مثل: جاء أبو سليم، وإذا دلّ على رفعه صاحبه أو صنعته أو حرفته أو بلده فهو اللقب،مثل: الأعشى، النجار، الجاحظ، وما عداهما فهو الاسم، هذا وأكثر الأعلام كانت في الأصل اسما أو وصفا أو فعلا أو جملة ثم نقلت إلى العلمية فسموها أعلاما منقولة، وبعضها وضعت من أول مرة مثل: سعاد فسموها مرتجلة، وهناك العلم الجنسي: وهو اسم أطلق على جنس فصار علما على كل فرد من أفراده، فيشبه من حيث المعنى النكرة المعرفة بـ"ال" الجنسية.[1]

نستنتج أن العلم في اللغة يأتي باعتبارات منها: النقل والارتجال، فالأول كثير في اللغة مثل النقل عن اسم الجنس مثل: صخر وبحر، والثاني مثل: سعاد التي لم تستعمل في غير العلم، وباعتبار المفرد والمركب، والمركب أنواع كما ذكرنا سابقا فهو إضافي ومزجي وإسنادي، ثم باعتبار الاسم والكنية واللقب والفرق بينهما واضح، وأخيرا باعتبار الشيوع والتخصص فقد يطلق العلم ويراد به تعيين الشخص وقد يراد به الجنسية.

1- ينظر : سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، ص99-100-101.

ب. أغراضه البلاغية:

ذكر العلماء عديدًا من دواعي اختيار التعريف بالعلميةدون غيره، والحاكم في هذا يرجع لسياق القول والمقام، ونذكر من هذه الأغراض:[1]

-الإتيان به لغرض إحضاره بعينه في ذهن السامع:مثل قوله تعالى:﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:01].

-إرادة التّعظيم أو الإهانة كما في الكنى والألفاظ المحمودة والمذمومة:فمن المحمود قولهم: ذو النورين، صلاح الدين، سيف الدين، ومن المذموم قولهم: أبو لهب، إبليس، أبو مرّة، أبو جهل، أم الخبائث.

-إرادة استخدام لفظ العلم للكناية به عن معناه اللغوي قبل نقله إلى العلمية: مثل: جاءنا محمود بالبشائر، وأنت تريد الإشعار بأنه في صفاته محمود، فله من اسمه نصيب.

-إرادة التّفاؤل أو التشاؤم: فالأول عندما يكون اسم العلم فيه ما يشعر بالتفاؤل، مثل: سعد في دارك، والثاني عندما يكون اسم العلم فيه ما يثير التّشاؤم، مثل: السّفاح الجارود، أبو لهب، قحطان.

-إرادة التسجيل والتّثبيت حتى لا يأتي الإنكار: ويُلجأ إلى تحقيق هذا الدّاعي كثيرًا في تثبيت العقود، وتدوين الشهادات، وفصل الخصومات في القضاء، فذكر الأعلام فيها بالتّفصيل مما يتحقّق به التّسجيل المميّز الذي تحرَّر فيه القضايا، وتضبط بكلّ ما يتطلّبه التسجيل من ضوابط.

فهذه بعض الأغراض البلاغية المعروفة، التي يستدعيها التّعريف بعلم من الأعلام حسب ما يريد المتكلّم ايصاله، لا سيما إذا كان بين لفظ العلم والمقام المراد مناسبة، يصبح التعريف هنا مهما في صنعة البيان، لأن الإتيان بعلم مفردٍ أو مركّبٍ أو باسم أو كنية أو لقب في مقام التّعظيم يدلّ على التّعظيم، والعكس، ثم قس أنت ما تشاء من الأغراض.

1- ينظر: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، ص145-146، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ص415-417.

3.2.2 التعريف باسم الإشارة وأغراضه البلاغية:

أ. التعريف باسم الإشارة:

الأصل في أسماء الإشارة أنها وضعت ليشار بها إلى محسوسات ظاهرة قريبة أو بعيدة، حسب ما يقتضيه نوع المشار إليه، لكنّها تخرج في الكثير من المعاني عن هذا التّصور فتأتي لتشير إلى أمور لعجز الحس عن إدراكها مجازًا.

قال الرضي: "فالأصل ألاّ يشار بأسماء الإشارة إلى مشاهد محسوس، قريب أو بعيد، فإن أشير بها إلى محسوس، نحو: "تلك الجنّة"، فلتصييره كالمشاهد. وكذلك إن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه ومشاهدته نحو: "ذلكم الله" و"ذلكما مما علمني ربي"[1]

وجاء في تعريف الإشارة: "هو ما دلّ على مسمى، والإشارة عليه نحو: هذا رجل، اسم الإشارة (هذا) يتضمّن أمرين: المدلول المشار إليه، وهو ذات الرّجل، والإشارة إلى تلك الذات".[2]

ب. أغراضه البلاغية:

للتعريف باسم الإشارة أغراض بلاغية نذكر منها:

-**الدلالة على المشار إليه:** قال السكاكي: "وأمّا الحالة التي تقتضي كونه اسم إشارة فهي متى صح احضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة إليه حسيًّا واتصل بذلك داع، أو أن تقصد بذلك أكمل تمييز له وتعيين".[3]

-**تنزيل الأشياء المعقولة منزلة الأشياء المحسوسة المشاهدة:** نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾[آل عمران:175]،فالشيطان غير مشاهد ولا محسوس ولكن أشار إليه فقصد استحضار صفاته عداوته للإنسان.[4]

1- الرضي الإستربادي، شرح الرضي على الكافية، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996هـ، ج2، 472.
2- خالد عبد العزيز، النحو التطبيقي، دار اللؤلؤ، المنصورة، ط3، 1440هـ-2019م، ص244.
3- السكاكي، مفتاح العلوم، ص183.
4- ينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، ص88.

-التعظيم والتّحقير: جاء في مفتاح العلوم: ثم تتفرع على ذكر وجوه من الاعتبار مثل أن نقصد بذلك كمال العناية بتمييزه وتعيينه، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[البقرة:05]،أو أن تقصد بقربه تحقيره، واسترذاله،كقوله تعالى:﴿**أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا**﴾[الفرقان:41].[1]

-إرادة التّهكم بالمخاطَب: ومن أمثلته أن يكون المخاطب أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، ويجادل في مسائل علمية، ويدّعي أن القرآن يشهد لما يقول. وذكر آية من حفظه على خلاف تلاوتها الصحيحة، ومحدّثه يعلم أنه أميّ فيقول له: هذا المصحف فاتل علينا الآية التي ذكرت منه.[2]

إذن للتعريف باسم الإشارة أغراض بلاغية تربط بالسياق الذي ذكرت فيه، وتتمثل هذه الأغراض في الدلالة على المشار إليه، تنزيل المعقول منزلة المحسوس، التعظيم والتحقير والتّهكم.

4.2.2 التعريف بالاسم الموصول وأغراضه البلاغية:

أ. التعريف بالاسم الموصول:

"الاسم الموصول ما وضع لمعين بواسطة جملة تتصل به تسمى صلة الموصول، وتكون هذه الجملة خبرية معهودة لدى المخاطب، مثل: جاء الذي أكرمك مع إبنتيه اللتين أرضَعتْهما جارتُك".[3]

فالأسماء الموصولة مبهمة، ناقصة الدلالة تحتاج صلة توضّحها لهذا سمّيت بالموصولة لأنها تتصل بالكلام بعدها ليتمّ معناها.

ب. أغراضه البلاغية:

الاسم الموصول من المعارف التي اهتم بها علماء البلاغة، لما فيها من أسرار بلاغية تؤدي إلى حسن البيان، ومن الأغراض البلاغية التي ذكرها العلماء:

1- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص184.

2- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، ص428.

3- سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، ص104.

-عدم علم المخاطب بالأحوال المختصّة به سوى الصلة: مثل: من دخل هذا الحصن استحقّ أكبر ألقاب الشّرف.[1]

-التفخيم والتهويل:مثل قوله تعالى: ﴿**فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**﴾ [طه:78]، قال ابن عاشور: فيتعيّن أن المقصود منه التهويل، أي بلغ من هول ذلك الغرق أنه لا يستطيع وصفه. [2]

-زيادة تقرير الكلام:مثل قوله تعالى: ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ**﴾[يوسف:23]،فإنه لو ذكر اسمها، لم يفد ما أفاده هنا من ذكر السبب الذي هو قرينة في تقرير المراودة، كونه في بيتها.[3]

-الإيماء والإشارة إلى نوع الخبر من مدح أو ذم أو عقاب أو غير ذلك: قال السكاكي: أو أن تومئ بذلك إلى وجه بناء الخبر الذي تبنيه عليه، فتقول: الذين آمنوا لهم درجات النّعيم، والذين كفروا لهم درجات الجحيم.[4]

-استهجان التصريح بالاسم: اذ يكون قد عبر الموصول وصلته لاستهجان ذكره، مثل قولك: إن الذي قتل عمر ابن الخطاب قد ارتكب جرمًا عظيمًا.[5]

-الاختصار:كقوله تعالى: ﴿**لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ**﴾ [الأحزاب:69]، إذ لو عدّد أسماء القائلين بذلك لو طال.[6]

هذه بعض أغراض التعريف بالاسم الموصول، فأغراضه متعدّدة لا يمكن حصرها فهي تختلف حسب مراد المتكلّم ومقام الكلام وسياقه.

1- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ-1993م، ص116.

2- ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير التنوير، ج16، ص272.

3- ينظر:بهاء الدين السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح : عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ-2003م، ج1، ص171.

4- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص182.

5- ينظر : محمّد إبراهيم شاوي، علوم البلاغة وتجلي القيمة الوظيفية في قصص العرب، ص71.

6- فاضل السامرائي، معاني النحو، ص120.

5.2.2 التعريف بـ "ال" وأغراضه البلاغية:

أ. التعريف بـ "ال":

المعرّف بـ "ال" هو الاسم الذي دخلت عليه "ال" فأكسبته التعريف، قال سيبويه: "وإنما صار معرفة لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته."[1]

وهي نوعان:[2]

أولا: "ال" العهدية: والعهد ثلاثة أنواع:

-العهد الذكري: وهو أن يتقدّم ذكره في الكلام لما دخلت عليه "ال"، نحو قولك:زارني رجل فأكرمت الرّجل، أي الرجل المذكور من قبل.

-العهد الذهني: هو أن يكون ما دخلت عليه "ال" معلوما لدى المتكلّم والمخاطَب قبل الكلام، نحو قولك لصديقك وقد أرسل إليك رسالة: وصلتني الرسالة.

-العهد الحضوري: هو أن يكون ما دخلت عليه "ال" حاضرا وقت الكلام، نحو قولك: البرد شديد الليلة، أي الليلة الحاضرة.

ثانيا: "ال" الجنسية: وهي نوعان:

-الاستغراقية: هي التي تستغرق جميع أفراد الجنس، ضابطها أن يصحَّ لفظ "كلّ" محلّها، نحو قوله تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء:28]،أي خلق كلّ إنسان ضعيفا.

-"ال" التي تبيّن حقيقة الجنس: وضابطها أن لا تصحَّ محلها "كل"، نحو قولك: الرجل أقوى من المرأة، أي هذا النوع أقوى من هذا النوع، وليس المقصود أن كل فرد من جنس الرجال أقوى من كل فرد من جنس النساء.

1- سيبويه، الكتاب، ج2، ص05.

2- ينظر: خالد عبد العزيز، النحو التطبيقي، ص277-278-279.

ب. أغراضه البلاغية:

للتعريف بـ "ال" أغراض بلاغية، نذكر منها:

-تعيين واحد من أفراد الجنس: كقولك: أقبل الرجل، اشتريت الكتاب.[1]

-الإشارة لمعهود: كقوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ** ﴾[آل عمران:36]أي ليس الذي طَلبتُ كالذي وهَبتَ.[2]

-لاستغراقالجنس: كقوله تعالى: ﴿ **وَالْعَصْرِ (01) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر:02،01]فالمقصود بالتعريف استغراق جنس الإنسان بدليل الاستثناء بعده.[3]

-لإفادة الاختصاص: كقوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ**﴾[البروج:14]أي الغفور الذي لا غفور غيره، والودود الذي لا ودود سواه.[4]

6.2.2.التعريف بالإضافة وأغراضه البلاغية:

أ. التعريف بالإضافة:

"إذا أضيفت النّكرة إلى أحد المعرفات الخمسة السابقة، اكتسبت التعريف بهذه الإضافة، وإليك أمثلتها بالترتيب: كتابك الجميل عندي، كتاب خالد، كتاب هذا، كتاب الذي سافر، كتاب الأمير".[5]

ب. أغراضه البلاغية:

دواعي تعريف المسند إليه بالإضافة كثيرة منها:[6]

-أن لا يكون لدى المتكلّم طريق سواها لإحضاره في ذهن السامع: كقولك: غلام زيد مسافر.

1- فاضل السامرائي، معاني النحو، ص108.

2- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ص177.

3- مُحَمَّد ابراهيم شاوي، علوم البلاغة، ص76.

4- المرجع نفسه، ص 76.

5- سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، ص109.

6-ينظر : عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1412هـ-1992م، ص 223-224.

-أن لا يكون للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق أخصر من الإضافة، وكان الموقف يستدعي الاختصار: كقول جعفر ابن علبة الحارثي:

هواي مع الرّكب اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكّة موثق

فهواي أخصر من الذي أهواه ونحوه، وهو أنسب لجعفر الذي كان سجينا في مكة عندما غادرتها حبيبته.

-أن تفيد الإضافة تحقير شأن المضاف: كقولك: أبو الخائن حضر، أو تحقير مضاف إليه كقولك: أخو ابراهيم لص.

-أن تفيد الإضافة تعظيم شأن المضاف: **كقوله تعالى:** ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر:42].

-إغناء الإضافة عن تفصيل متعذّر: نحو: أجمع أهل الحقّ على كذا.

3. أسلوب التنكير وأغراضه البلاغية:

3.1 تعريف النكرة:

أ. لغة:

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ): "النّكرة، إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة، ونكر الأمر نكيرًا وأنكره إنكارًا جهله".[1]

ويقول الجوهري (ت398هـ) في الصحاح: "النّكرة ضدّ المعرفة، (...) وقد نكّره فتنكر، أي: غيّره إلى مجهول".[2]

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص476.

2- الجوهري، الصحاح، ص1167-1168.

أما تعريف النكرة في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ): "والنّكرة إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة، ونكّر الأمر نكيرًا وأنكره إنكارًا، جهله".[1]

بالنظر إلى هذه التعاريف نلاحظ إنها اتفقت على أن النكرة ضد المعرفة، والأمر المنكر هو الأمر المجهول.

ب. اصطلاحا:

عرّفها المبرّد (ت285هـ): "وأصل الأسماء النكرة، وذلك لأن الاسم المنكرهو الواقع على كل شيء من أمته لا يخص واحدا من الجنس دون سائره، وذلك نحو: رجل وفرس وحائط وأرض".[2]

وقال ابن السرّاج (ت316هـ): "كل اسم عم اثنين فما زاد فهو نكرة، وإنما سمي نكرة من أجل أنك لا تعرف به واحدا بعينه إذا ذكر"[3]

واختصر الجرجاني (ت471هـ) تعريفها في قوله: "النكرة: ما وضع لشيء لا يعنيه كرجل وفارس".[4]

فإذا نظرنا إلى هذه التعريفات وجدناها تتفق على أن النكرة عكس المعرفة فهي تدل على العموم وعدم التّحديد، فكلمة "رجل" مثلا، تطلق على أي رجل، ولا يقصد بها رجل بعينه.

والتعريفات السابقة حدّدت تعريف النكرة مفهومها العام، كما نجد تعريفات أخرى اهتمت ببيان علاماتها وخواصها اللفظية.

ومن هذه التعريفات نذكر قول الزبيدي: " كل ما وقعت عليه ربّ فهو نكرة، وكذلك كل ما جاز أن تدخله الألف واللام فهو نكرة أيضًا".[5]

1- ابن منظور، لسان العرب، ص4565.

2- المبرد، المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، دار إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، مصر، ط2، 1399هـ-1979م، ج4، ص276.

3- ابن السراج، الأصول، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1417هـ-1997م، ج1، ص148.

4- الجرجاني، معجم التعريفات، ص206.

5- الزبيدي، الواضح، تح: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان، ط2، 2011م، ص140.

2.3.الأغراض البلاغية لأسلوب التنكير:

لا يأتي التنكير في الأسماء، إلاّ لهدف إبراز معنى معيّن يخالف معنى الاسم المعرّف، ولما كان كذلك حظي هذا الأسلوب باهتمام أهل البلاغة قديمًا وحديثًا فتحدّثوا عنه في كتبهم، كما نجد في كتب التّفسير إشارات بيانية من علماء التفسير لأغراض التّنكير في الكثير من آيات الذّكر الحكيم.

ولما كان بهذه القيمة الفنية قيل عنه: قد يظنّ ظان أن المعرفة أجلى فهي من النّكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق، وأن سلوك الإيضاح ليس سلوكا للطريق خصوصًا في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم، وعلّة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادربتعدد الموارد، والنكرة متكثرة الأشخاص يتقذّفُ الذّهن من مطالعها إلى مغاربها فيحصل في النّفس لها فخامة، وتكتسي منها وسامة، وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة، فإنها لواحد بعينه يثبت الذّهن عنده ويسكن إليه.[1]

وهذا ما نلحظه فعلا في الكثير من الأمثلة إذ يلعب التّنكير فيها دورًا مهمًا في إبراز عمق الدّلالة التي لا يمكن أن يؤديها الاسم المعرّف، ومن الأغراض البلاغية لأسلوب التّنكير:

1.2.3 دلالة العموم والشّيوع:

يقول القرطبي: "إن النّكرة في الإثبات لا تقتضي الشمول عن أهل اللسان كما تقدّم، وإنّما تفيد واحدًا، فإذا كانت بعد أمرٍ أو نهيٍ أو مضافة إلى مصدر، كانت للعموم الشيوعي، كقوله: أعتق رجلًا، ولا تهن رجلًا، والمصدر كإعتاق رقبة، فأي رجل أعتق فقد خرج عن عهدة الخطاب، ويصحُّ منه الاستثناء".[2]

وجاء في معاني النحو لفاضل السامرائي: فإذا كانت النّكرة في حيّز النفي أو شبهه، كانت دلالتها على العموم أربح، مثل: "ما جاءني رجلٌ"، وجاء في التّصريح: "النّكرة في سياق النفي تعم".[3]

1- ينظر: الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: خديجة الحديثي، أحمد مطلوب، دار إحياء التراث الإسلامي، ط1، 1349هـ-1974م، ص196.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ-2006م، ج12، ص383.

3- ينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، ج1، ص93.

2.2.3 دلالة التّعظيم والتّحقير:

يفيد التّعظيم في رفع شأن الشيء وإظهار عظمته، ويفيد التحقير عكس ذلك فهو يبين دنوّ شأن الشيء وحقارته. وتجتمع هاتان الدلالتان في بيت شعري لأبي السّمط يقول فيه:

له حَاجبٌ عن كلِّ شيْءٍ يُشينُه وليس له عن طَالِب العُرْفِ حَاجِب

"فتنكير "حاجب" الأولى التّعظيم، وتنكير "حاجب" الثانية للتحقير، لأن مقام المدح يقتضي أن الحاجب -أي المانع- عن كل ما يشين: أي يعيب، فالممدوح عظيم، والحاجب عن المعروف والإحسان ينسب حقيره فمن باب أخرى عظيمة، وذلك لما في معنى التّنكير من الإيماء إلى أن هذا الأمر لا يعرف لبلوغه الدرجة العليا في الرّفعة أو في الدّقة فمن شأنه أن ينكر ولا يعرف لكونه لا يدرك".[1]

فقد جاءت كلمة "حاجب" نكرة في موضعين من هذا البيت، فالأولى للدّلالة على التّعظيم، لأنه يكون لصاحبه حاجزا عن الأمور المشُينة، أما الثانية فالمراد منها التّحقير لأن الحاجب إذا كان يصدّ صاحبه عن الخير أصبح في موضع التّحقير.

3.2.3 دلالة التّكثير والتّقليل:

فالتكثير في قوله تعالى: ﴿ **فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾ [آل عمران:184].

قال السّكاكي: "المعنى رسلٌ أي رسلٌ ذوو عدد كثير، وأولو آيات ونذر، وأهل أعمارٍ طوال، وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك".[2]

والآية جاءت على قول المفسّرين إيناسًا لنبيّنا مُحَمَّد وتثبيتًا لقلبه عليه الصلاة والسّلام، وتنكير رسلًا زادها قوّة في معنى التّثبيت، أي أنّك لست وحدك بل هم رسلٌ كثيرون جاءوا بآيات الله ومعجزاته وكذبوا.

1- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، ص156.

2- السكاكي، مفتاح العلوم، ص194.

أمّا التّقليل في قوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة:72].

جاءت رضوان للتّقليل والمعنى: أي شيءمن رضوانه أكبر من ذلك كلّه؛ لأن رضاه سبب كلّ سعادة وفلاح.[1]

أي أن رضوانه سبحانه وتعالى وإن كان قليلا أكبر من ذلك كلّه، من جنّات النّعيم والأنهار، وهو سبب السعادة الحقيقية والفلاح في الآخرة.

4.2.3 دلالة الإفراد والنوعية:

فالتنكير للإفراد في قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى**﴾[القصص:20]، أي أفرد من أشخاص الرّجال، أما التنكير للنوعية في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾[البقرة:07]،وهي غطاء التّعامي عن آيات الله، أما قوله تعالى:﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ**﴾[النور:45]، فيحتمل الإفراد والنوعية؛ أي خلق كلّ فرد من أفراد الدّواب من نطفة معينة، أو كلّ نوع من أنواع الدّواب من نوع من أنواع المياه.[2]

إذن فالتّنكير قد يفيد الإفراد والنوعية كما في المثال السابق، ومثاله أيضا في قولك: جاءني اليوم رجل، تقصد رجلًا واحدا، وقولك: جاءني رجل لا امرأة، تريد هنا تحديد النّوع، وهو الحال في قولك: ويل أهون من ويلين للإفراد، وقولنا: لكل داء دواء أي لكل نوع من الدّاء نوع من الدّواء.

5.2.3 دلالة التهويل:

ومن أغراض التّنكير التهويل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**﴾[هود:03].

1- ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص50.

2- ينظر: المرجع نفسه ، ص49-50.

قال ابن عاشور: "وتنكير يوم للتهويل لتذهب نفوسهم للاحتمال الممكن أن يكون يوما في الدّنيا وفي الآخرة، لأنهم كانوا يذكرون الحشر، فتخويفهم بعذاب الدّنيا أوقع في نفوسهم، وبذلك يكون تنكير "يوم" صالحًا لإيقاعه مقابلا للجزاءين في قوله: "يمتعكم متاعا حسنا" إلى أجل مسمى، ويؤتي كلّ ذي فضل فضله" فيقدر السامع:إن توليتم فإني أخاف عليكم عذابين كما رجوت لكم إن استغفرتم ثوابين".[1]

وفي قوله تعالى: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾[مريم:45].

رجّح السكاكي أن كلمة عذاب جاءت للتّهويل، فقال: وأما قوله: "أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمان " بالتنكير دون عذاب الرحمان بالإضافة، فإما للتهويل، وإما بخلافه. [2]

في حين فضل صاحب الإيضاح ومال إلى رأي الزمخشري، فقال: "والظاهر أنه لخلافه، وإليه ميل الزمخشري، فإنه ذكر أن إبراهيم عليه السلام لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرّح أن العذاب لاحق له لاصق به، ولكنّه قال: "إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمان" فذكَّر الخوف والمسّ، ونكَّر العذاب".[3]

ودلالة التهويل بالتنكير دلالة مكرّرة في آيات القرآن الكريم خاصّة في الحديث عن سياق يوم القيامة والنّار وأهل الضلالة من الكفرة والمنافقين، كما في قوله تعالى:﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا**﴾[البقرة:48].

6.2.3 دلالة التّخصيص:

ومنها قوله تعالى: ﴿**مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا**﴾[النساء:47].

ف"المراد بالوجوه هنا وجوه الكفار، فالنّكرة عامة والمراد بها التّخصيص".[4]

1- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص319.

2- ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم، ص194.

3- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص51.

4- فاضل السامرائي، معاني النحو، ص41.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:96].

وتنكير كلمة "حياة" هنا جاء تحقيرًا لهم قد رضوا بأي نوع من الحياة مهما كانت، كما تحمل معنى التّخصيص فهم يرضون بحياة الشّقاء والتّعاسة.

قال الزمخشري: "فإن قلت لم قال: "على حياة" بالتنكير؟ قلت: لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة" [1]

فجاء التّنكير حاملًا لمعنى ذمّ المنافقين وتحقيرهم، بتخصيص نوع الحياة التي يرضونها وهي حياة الشّقاء والتّعاسة.

7.2.3 دلالة الإطلاق وعدم الحصر:

في قوله عزّ وجلّ: ﴿**فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**﴾ [الفرقان:59].

أي: فاسأل عن الرحمان أيّ خبير كان، لجأ إليه ودعاه فرحمه، واستجاب لدعاءه، فالمراد من التّنكير في هذه الآية الإطلاق الذي يصْدُقُ بخبير فأكثر من المجربين الخبراء.[2]

فالتنكير في كلمة "خبيرا" دلّ على الإطلاق وعدم التّخصيص، فالمقصود ليس شخصًا معينًا، إنما أيّ شخص خبير برحمة الله تعالى واستجابته لمن دعاه.

وفي قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (13) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾[فاطر: 13،14].

1- الزمخشري، الكشاف، ص87.

2- ينظر: عبد الرحمان حسب حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص408.

أي لا ينبئك بحقيقة أمر ما مثل من عرفه عن تجربة وممارسة عملية واكتسب خبرة فيه، فمجيء التنكير في كلمة "خبير" لإرادة الإطلاق وعدم الحصر، ويدخل في هذا الإطلاق كلّ من خَبَر الشركاء فدعاها من دون الله فلم تستجب له، وخاب في عبادته لها.[1]

ومما سبق ذكره نستنتج أن أسلوب التّنكير يروم معاني مختلفة منها:

الإفراد والنوعية، التعظيم والتحقير، التقليل والتّكثير، كما يفيد التّهويل والتّخصيص، والإطلاق أو الشّيوع وغيرها من المعاني التي تستنبط حسب سياق القول ومقامه، لا سيما إن كان الحديث متعلقًا بآيات القرآن الكريم التي يكون له فيها مقصد خاص لأنه يزيد من عمق الدلالة.

1- ينظر : المرجع نفسه ، ص409.

ملخص الفصل:

حاولنا في هذا الفصل التّطرق إلى جملة المفاهيم الأساسية التي تتعلّق بالبحث ككل، حيث قمنا بقسيمه إلى جزأين:

الجزء الأول: تناولنا فيه موضوع الأمثال القرآنية، وركزنا في دراستها على جوانب مهمّة تتمثل في تعريفها وبيان أقسامها، وخصائصها، وأغراضها، وأسفرت هذه الدراسة عن نتائج عدة كمعرفة المراد بالأمثال القرآنية، وهي عبارة عن صور مختلفة صيغت بأسلوب بياني بليغ، وأدرجنا أقسامها وهي ثلاثة أقسام: صريحة وكامنة ومرسلة، كما وقفنا على بيان خصائصها، ومن هذه الخصائص: الإيجاز والدّقة، الإمتاع الذهني والعاطفي، وتضمّنها لأهم القيم الأخلاقية والانسانية، وغيرها من الخصائص التي تميّزها عن أمثال العرب، كما ذكرنا بعض أغراضها التي تباينت بين الترغيب والترهيب، التعظيم والتحقير، المدح والذم، والإقناع، والتّذكير والعبرة، وغيرها من الأغراض.

الجزء الثاني: تناولنا فيه مسألة التعريف والتّنكير في البلاغة العربية، حيث تطرقنا فيه إلى تعريف البلاغة وعلومها، ثم تطرّقنا إلى أسلوب التعريف وهو كل ما دلّ على التّعيين والتّخصيص، وأوردنا أقسامه التي حصرها العلماء في ستة أقسام هي: الضمير، العلم، الإشارة، الموصول، والمعرّف بـ"ال"، والمعرّف بالإضافة، وبيّنا الأغراض البلاغية لكل قسم من الأقسام. ثم انتقلنا إلى أسلوب التّنكير وهو كل ما دلّ على العموم وعدم التحديد، وبيّنا أغراضه البلاغية والتي ذكرنا منها: العموم والشيوع، التعظيم والتحقير، التّكثير والتّقليل، التخصيص والإطلاق، الإفراد والنّوعية، التهويل.

الفصل الثاني: بلاغة التعريف والتنكير في الأمثال المكية:

1. سياق الإيمان والكفر.
2. سياق التوحيد والشرك.
3. سياق الشرك.
4. سياق الضلال بعد الهدى (الانتكاسة).
5. بيان الحق والباطل.
6. بيان حقيقة الدنيا الفانية.

بناء على الطبيعة الصرفية البلاغية لبحثنا عمدنا في هذه الدراسة التطبيقية إلى بيان السياقات العامة التي تطرّقت لها الأمثال القرآنية، إذ من أبرز ما تميزت تنوّع الموضوعات،حيث اشتملت على أجلّ المسائل وأعظم القضايا وتضمنت مقاصد كبرى تهمّ الإنسان في دنياه وآخرته، ثم وقفنا عند وصف المستوى التركيبي، فبه نميّز الدلالات والوظائف ونستنبط العلاقات بين أركان الجملة، ثم حاولنا الربط بين المبنى والمعنى في الأمثال القرآنية مع تركيزنا على قضية التعريف والتنكير التي تعدد أشكالها وأبعادها وتباينت دلالاتها ومقاصدها.

1. سياق الإيمان والكفر:

1.1قال تعالى:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:122]

(**أَوَمن**)**الهمزة** حرف استفهام والواو عاطفة، (**من**) اسم موصول في محل رفع مبتدأ، (**كان**)فعل ماض واسمها ضمير مستتر تقديره"هو"، (**ميتا**)خبر كان، (**كان ميتا**)جملة صلة الموصول لامحل لها، (**فأحييناه**)**الفاء** استئنافية،**أحيا**فعل ماض، **ونا**ضمير متصل في محل رفع فاعل، و**الهاء** ضمير متصل في محل نصب مفعول به، (**جعلنا**) معطوفة على "أحيينا" وتعرب مثلها، (**له**)جار و مجرور متعلق ب "جعلنا"،(**نورا**)مفعول به منصوب، (**يمشي**)جملة فعلية في محل نصب نعت للموصوف "نورا"،(**به**)جار و مجرور متعلق ب"يمشي"،(**في الناس**) جار ومجرور متعلق بحال من فاعل "يمشي"1(**كمن**) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مبتدأ، (**مثله**) مبتدأ مرفوع وهو مضاف،والهاء ضمير متصل في محل جر مضاف إليه، (**في الظلمات**) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، والجملة صلة الموصول، (**ليس**) فعل ماض يفيد النفي، واسمها مستتر تقديره "هو"،(**بخارج**) **الباء** زائدة،و**خارج** خبر ليس، والجملة (**ليس واسمها وخبرها**) في محل نصب حال ل "من"، (**منها**) جار ومجرور متعلق ب " خارج".[2]

1- ينظر : بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ-2001م، ص379-380.

2-ينظر : محمود سليمان الياقوت، إعراب القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، د ت، م3، ص1485_1486.

ومعنى هذا المثل مختلف فيه؛ هل هو خاص بشخصين معينين، أو عام في كل مؤمن وكافر، وفيه قولان:القول الأول: أنه خاص بشخصين على التعيين، وفيه وجوه، الرواية الأولى: قال ابن عباس: أن الآية نزلت في حمزة وأبي جهل، الرواية الثانية: قال مقاتل: أن الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل، الرواية الثالثة: قال عكرمة والكلبي: نزلت في عمار ابن ياسر وأبي جهل، الرواية الرابعة: قال الضحاك: نزلت في عمر ابن الخطاب وأبي جهل.

القول الثاني: أنه عام في حق جميع المؤمنين والكافرين،[1] فهذا الكلام من الله جلّ ثناؤه، يدلّ على نهيه للمؤمنين عن طاعة المشركين وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرا فهداه الله لرشده ووفقه للإيمان،فجعله جلّ ثناؤه لكفره وجهله بمنزلة الميت فأحياه الله بأن هداه للإسلام، فكان ذلك ضياء يستضيء به فيمشي قصد السبيل، أما الكافر الضال ففي ظلمات الكفر لايدري كيف يتوجه.[2]

فلا يستوي الذي كان قبل هداية الله له ميتا لما هو فيه من الكفر فأحياه الله فأحياه الله بأن هداه للإيمان، مع من هو في ظلمات الكفر لا يستطيع الخروج منها.

والرأي الثاني هو الرأي الراجح حسب جمهور المفسرين، وهو أن الآية عامة في كل مسلم وكافر،وهي موازنة تظهر الاختلاف والتفاوت والفرق الشاسع بين المهتدي والضال،الفرق الذي لا يخفى على كل من تدبر وتفكر،فالآية جاءت بصيغة الاستفهام الإنكاري لتنفي كون المهتدي والضال بمنزلة واحدة.

يقول الطنطاوي: "الهمزة للاستفهام الإنكاري وهي داخلة على جملة محذوفة، للعلم بها من الكلام السابق، والتقدير:أأنتم أيها المؤمنون مثل أولئك المشركين الذين يجادلونكم بغير علم وهل يعقل

1- فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ- 1981م، ج13، ص182.

2- الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، تح: بشار عواد وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1994م، ص341.

أن من كان ميتا فأعطيناه الحياة وجعلنا له نورا يمشي بين الناس آمنا،كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها؟."[1]

ومما يظهر إعجاز الآية ويحوي التصوير الفني هو أسلوب التمثيل وما يتضمنه من حركة وتشخيص، حيث مثل الكافر بالميت الذي عاد إلى الحياة بعد أن هداه الله، فكانت هداية الله له عودة إلى الحياة ونورا يدله إلى السبيل الصحيح، ومن بقي على كفره بمن يمشي في الظلمات لا يعرف أي طريق يسلكه.

وجاء المثل لتصوير هذه الحقيقة بتعبير استعاري فالموت والحياة والنور والظلمات كلها استعارة، فقد استعار الموت للكفر والحياة للإيمان والنور للهدى والظلمات للظلال.[2]

وقد تكوّن من هذه الاستعارات مثل مركب من مثلين متداخلين أحدهما للمؤمن والآخر للكافر، كما استعمل الطباق لمنع التسوية بينهما ولبيان حال ومصير كل منهما.

فالجمع بين "ميت" و"أحييناه" طباق بيد أن الأول اسم والآخر فعل،[3] يقول صاحب المطول:"فإن الموت والإحياء مما يتقابلان في الجملة وقد ذكر الأول بالاسم والثاني بالفعل".[4]

- ووراء تعبير الآية ببعض الأساليب دون غيرها أسرار بلاغية، فالتنكير في (نورا) أبلغ من التعريف في الظلمات، وذلك لما يتضمنه التنكير من شساعة المعنى،وبعد في التصوير والتأويل، لأن نور الهداية لا حدود له، بخلاف التعريف في (الظلمات) وإن جمعت على معنى التراكم يظل المعنى محدودا محصورا في ظلمة الكفر.

2.1 قال تعالى﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[هود:24]

1- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1412هـ-1992م، م5، ص169.

2- محمد حسن سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ-2002م، ص93

3- محمد حسن شرشر، لباب البديع، ط2، 1424هـ-2003م، ص41.

4- سعد الدين التفتازاني، المطول، مكتبة الداوري، قم، إيران، ص418.

(**مثل**)مبتدأ وهو مضاف، (**الفريقين**) مضاف إليه مجرور، (**كالأعمى**) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ، (**والأصم والسميع والبصير**) هذه الأسماء معطوفة على الأعمى، والجملة الاسمية (**مثل**...) مستأنفة لا محل لها، (**هل**) حرف استفهام، (**يستويان**) مضارع مرفوع وألف الاثنين فاعله، (**مثلا**) تمييز، والجملة الاسمية (**هل يستويان مثلا**) مستأنفة لامحل لها، وجواب الاستفهام محذوف تقديره "لا يستويان".[1]

والمعنى: حال وصفة الفريقين المذكورين قبل ذلك وهما الكافرون والمؤمنون، كحال الضدين المختلفين كل الاختلاف، فقد ذكر الله تعالى في الفريقين مثالا مطابقا ووجه التشبيه هو أنه سبحانه خلق الانسان مركبا من الجسد ومن النفس، فكما أن للجسد بصرا وسمعا، كذلك حصل لجوهر الروح سمع وبصر، فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا والآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع ما ينفعه أما المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل.[2]

فالله تعالى ضرب مثلا للكافر كمن جمع بين العمى والصمم في كونه لا ينتفع بسمعه وبصره، كما ضرب مثلا للمؤمن بالمبصر والمستمع في تمييزه بين الحق والباطل.

"هل يستويان مثلا؟ قال الفراء: لم يقل هل يستوون؟ لأن الأعمى والأصم في حيز كأنهما واحد، وهما في وصف الكافر، والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد، وهما في وصف المؤمن".[3]

يقول مُحَمَّد سيد طنطاوي: "وهو استفهام غرضه الإنكار والنفي، أي هل يستوي في الصفة والحال من كان ذا سمع وبصربمن فقدهما؟".[4]

"أفلا تذكرون؟ لم يقل تتذكرون كما في آيات أخرى ذلك؛ لأن هذا الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى قدر طويل من التذكر والتأمل، فإنك إذا سألت أيّ فرد من عقلاء خلق الله، هل يستوي

1- ينظر : مُحَمَّد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1430هـ-2009م، م4، ص417.

2- ينظر : فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، ج18، ص218، ومُحَمَّد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، م7، ص178، ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1385هـ-1960م، ج3، ص546.

3- مُحَمَّد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، م4، ص416.

4- مُحَمَّد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، م7، ص187.

رجل أعمى وأصم ورجل بصير وسميع؟ كان جوابه كلا لا يستويان، فحذف من الفعل للدلالة على أن هذا لا يحتاج إلى طول تذكر وتأمل".[1]

ويظهر إعجاز الآية في أن الله تعالى لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع، ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السمع، وذلك هوا لأسلوب في المقابلة، فلم يجيء التركيب: كالأعمى والبصير والأصم والسميع، فيكون مقابلة في لفظ الأعمى وضده ولفظ الأصم وضده.[2]

فالمقابلة في هذه الآية لم تأت مقابلة لفظ بلفظ وإنما مقابلة معنيين بمعنيين (الأعمى والأصم) ب (السميع والبصير) وعقد المقارنة بين هذين الضدين عن طريق المقابلة هو بيان للفرق بينهما، كما أنه جمع بين الترغيب والترهيب لكي يسعى الإنسان لأن يكون من أهل الفوز، وان لايكون من أهل الخسران.

- وجاء أسلوب التعريف في الآية الكريمة (الأعمى، الأصم، البصير، السميع) لمعرفة الناس ما يعانيه الأعمى والأصم، وما ينعم به البصير والسميع، فهو لبيان جنس الفريقين، الأول فريق الكفر والثاني فريق الإيمان.

3.1 قال تعالى﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[ابراهيم:18]

(**مثل**) مبتدأ مرفوع وهو مضاف، (**الذين**) اسم موصول مضاف إليه، (**كفروا**) فعل ماض و**واو** الجماعة فاعل، والجملة صلة الموصول لامحل لها، (**بربهم**) جار ومجرور متعلق ب "كفروا" (**أعمالهم**) مبتدأ مرفوع وهو مضاف والهاء ضمير مضاف إليه، (**كرماد**) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر "أعمالهم"، (**اشتدت**) فعل ماض مبني، (**به**) جار ومجرور متعلقان ب "اشتدت"، (**الريح**) فاعل مرفوع، والجملة (**اشتدت به الريح**) نعت ل"رماد"، (**في يوم**) جار ومجرور متعلقان

1- فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1438هـ-2017م، ج3، ص83.

2- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح :عادل أحمد عبد الموجود وعلي مُحَّد معرض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م، ج5، ص214.

ب"اشتدت"، (**عاصف**) نعت ل"يوم"، (**لا**) نافية، (**يقدرون**) مضارع مرفوع **والواو** فاعل، (**مما**) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من "شيء"، (**كسبوا**) فعل ماض مبني والواو فاعل، والجملة صلة الموصول لا محل لها، (**على شيء**) جار ومجرور متعلقان ب" يقدرون".[1]

من المعلوم أن أعمال الكفار مهما بدت صالحة لا تقبل عند الله، فشروط قبول العمل أن يكون الانسان صالحا مؤمنا مخلصا في عمله، يرجو به الثّواب من عند الله، والآية التي بين أيدينا ساقت مثلا يصور لنا حال الكافرين يوم القيامة، من خيبة لآمالهم وبطلان لأعمالهم.

يقول ابن القيم: شبه سبحانه أعمال الكفار في حبوطها وعدم الانتفاع بهالكونها لغير الله عز وجل، برماد طيرته الريح العاصفة، فلا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا على شيء، فلا يرون له أثرا من ثواب ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلاّ ما كان خالصا لوجهه موافقا لشرعه.[2]

فالله سبحانه ضرب مثلا للذين كفروا مستمدّا من واقعهم، ليبيّن لهم مدى خسرانهم.

وتنطوي تحت هذا المثل أنواع من البلاغة، نوردها باختصار:

-المجاز العقلي: "في إسناد العصف لليوم في قوله تعالى: (في يوم عاصف) والعصف اشتداد الريح، وصف به زمان هبوبها على الإسناد المجازي".[3]

-التشبيه التمثيلي: والمشبه مركب وهو الذين كفروا وأعمالهم، وذلك لدخول آداه التشبيه على الذين كفروا بينما الأعمال هي المشبه، ليشمل التشبيه الأعمال وأصحابها.[4]والمشبه به هو الرماد، ووجه الشبه هو الخفة وعدم النفع، فكما تطيّر الريح الرماد فلا ينتفع به في شيء كذلك لا ينتفع الكافر بعمله يوم القيامة.

1- ينظر، ابراهيم الكرباسي، إعراب القرآن، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، م4، ص191-192.

2- ينظر، ابن القيم، التفسير القيم، تح: محمّد حامد الفقي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص326.

3- محمود صافي، الجدول في إعراب القران الكريم وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط3، 1416هـ-1995م، ج13، ص175.

4- ينظر : محمّد بكر اسماعيل، الأمثال القرآنية دراسة تحلبلية، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1406هـ-1979م، ص166.

➢ والشيء الذي أضفاه التشبيه بدلالة عدم النفعية زاد عليه مجيء التنكير في "رماد" للزيادة من حدة عدم النفع، فتنكير كلمة "رماد" دلالة على القلة والحقارة والضعف والضآلة، وما أعمال الكافرين إلاّ كذلك.[1]

4.1 قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿24﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿25﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿26﴾ [إبراهيم:24،25،26]

(**ألم تر**) الهمزة حرف استفهام، (**لم**) حرف نفي وجزم، (**تر**) فعل مضارع مجزوم، والجملة استئنافية، (**كيف ضرب الله**) اسم استفهام وفعل وفاعل، والجملة من الفعل والفاعل في محل نصب سد مسد مفعولي "تر"، (**كلمة طيبة**) نصب على البدلية من "مثلا"، (**كشجرة طيبة**) صفة للكلمة، ويقرأ شاذا (**كلمة**) بالرفع و(**كشجرة**) خبره، (**أصلها ثابت**) صفة للشجرة، (**وفرعها في السماء**) معطوفة على "أصلها ثابت"، (**تؤتي أكلها**) صفة للشجرة، ويجوز أن يكون حالا، أي ترتفع مؤتية أكلها، (**ومثل شجرة خبيثة**) قرأ بالنصب عطفا على "الكلمة الطيبة"، (**اجتّثت**) صفة ل"الشجرة"، (**مالها من قرار**) صفة ل"الشجرة".[2]

نقل مُحَمَّد سيد طنطاوي عن الألوسي: "قوله تعالى (ألم تر...) هذا التعبير قد يذكر لمن تقدّم علمه فيكون للتعجب، وقد يذكر لمن ليس كذلك فيكون لتعريفه وتعجيبه، وقد اشتهر في ذلك حتى

1- ينظر : عيسات قدور سعد، جماليات المثل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، مذكرة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغات والفنون، جامعة وهران، 2015/2014م، ص185.

2- ينظر: الألوسي، روح المعاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1994م، م7، ص201-203، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تح: مُحَمَّد علي البهاوي، دط، دت، ص768-769، محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، م5، ص2407-2409.

أجري مجرى المثل في ذلك، بأن شبه من لم ير الشيء بحال من رآه في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه، ثم أجري الكلام معه كما يجري مع الذي رأى، قصدا إلى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب".[1]

فالاستفهام في هذه الآية قد يكون لتعريف المخاطَبين وتعجيبهم وشدّ أذهانهم، فقوله: (ألم تر) يجعل النفس أشد انتباها لما سيأتي من الكلام.

وقد يكون الاستفهام إنكاريا نزّل المخاطَب منزلة من لم ير فأنكر عليه عدم الرؤية، فالفعل الماضي المنفي هنا (ألم تر) يشعر النفس بعدم الرؤية التي كان ينبغي لها أن تراها.

أما في معنى الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة فيقول ابن عباس: الكلمة الطيبة: لا إله إلاّ الله، والشجرة الطيبة: المؤمن، وقال مجاهد وابن جريج: الكلمة الإيمان، عطية الكوفي والربيع بن أنس: هي المؤمن نفسه، وقال مجاهد أيضا وعكرمة: الشجرة: النخلة.[2]

"فيكون المعنى حسب قول جمهور المفسرين: الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلاّ الله، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح يرضي الله فهو ثمرة هذه الكلمة".[3]

ثم وصف سبحانه هذه الشجرة بصفات حسنة:

الأولى: كريمة الأصل والمنبت، الثانية: رسوخ أصلها وذلك يدل على تمكنها، وأن الرياح لا تقصفها فهي بطيئة الفناء، الثالثة: علو فرعها وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عرقها، وعلى صفائها من الشوائب، والرابعة: إيتاء أكلها كلّ حين، والتعبير بكلمة أكلها أقوى دلالة من ثمرها، لأن الثّمرقد لا يؤكل لمرارته مثلا،أما قوله: "كلّ حين" فيعني ديمومة وجود ثمرها وحضوره في كل الأوقات، فالحين عند جميع أهل اللغة إلا من شذّ منهم بمعنى الوقت، ويقع لقليل من الزمان وكثيره.[4]

1- مُحَمَّد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن العظيم، م7، ص594.

2- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص132.

3- ابن القيم، التفسير القيم، ص327.

4- ينظر : أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص132، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص135، مُحَمَّد بكر اسماعيل، الأمثال القرآنية دراسة تحليلية، ص170.

ولاشتراك كلمة التوحيد مع الشجرة الطيبة في هذه الصفات، ضرب الله هذا المثل، فلما كانت الشجرة الطيبة أصلها راسخ في الأرض، كانت كلمة التوحيد أصلها ثابت في قلوب المؤمنين، كما اتصفت الشجرة الطيبة بعلو فرعها كذلك تصعد كلمة التوحيد إلى ربّ العزة ويمنح صاحبها أجرا جزيلا، فتلك هي ثمارها التي تؤتى كلّ حين.

أما المثل الثاني فهو مضروب للكلمة الخبيثة، قال مسروق: الكذب، وقيل: كل كلام لا يرضاه الله تعالى، وهي كلمة الكفر على قول الجمهور، والشجرة الخبيثة: شجرة الحنظل قاله الأكثرون، وقال الزجاج وفرقة: شجرة الثوم، وقيل: شجرة الكشوت وهي لاورق لها ولا أصل، وقيل: الطحلبة، وقيل: الكمأة، وقيل: كل شجر لايطيب له ثمر، وقال ابن عطية: العضاة أو شجرة السموم ونحوها.[1]

فالكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وفروعها، أما الشجرة الخبيثة وبالنظر إلى الاختلاف الواقع في تحديد معناها يتبين لنا أنها ليست شجرة معينة، فهي كل شجرة ينتج عنها ما يضر الإنسان لا ما ينفعه، وشبه سبحانه كلمة الكفر بالشجرة الخبيثة في أن كليهما لا يأتي بخير للإنسان.

وقد جمعت الآيات الكريمة بين عدّة مقابلات مختلفة:

(كلمة طيبة) بـ (كلمة خبيثة)و (شجرة طيبة) بـ (شجرة خبيثة) و (أصلها ثابت وفرعها في السماء) ب (اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار)، ولهذه المقابلة بين المعاني المتضادة وقع في النفس يدفعها للتأمل والنظر، فكلمة التوحيد ثابتة باقية، وهي أصل كل عمل صالح صادر عن المؤمن وسبب لما يلقاه من ثواب، أما الكلمة الخبيثة فزائلة لا بقاء لها وهي مصدر شقاء أصحابها في الدنيا والآخرة.

وفي مقابلة الكلمة الطيبة وبيان صفاتها والكلمة الخبيثة وبيان صفاتها مقابلة للترغيب والترهيب، تدفع الإنسان لطلب ثواب الكلمة الطيبة، وترك إثم الكلمة الخبيثة.

- ومما زاد المعنى ثراء تظافر التشبيه مع أسلوب التنكير في قوله تعالى: "كلمة طيبة كشجرة طيبة" لأن النكرة تفيد العموم، ف"كلمة طيبة" نكرتان أفادتا عموم المعنى، فهي كل كلمة اتصفت بجميع

1- ينظر : أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص411-412.

الصفات الطيبة وليس فيها شيء من الخبث، وجاءت "شجرة" نكرة أيضا لتدل على أنها كل شجرة فيها نفع للإنسان، وجاء وصفها بتنكير "طيبة" للدلالة على طيبها في جميع الوجوه، كونها جميلة الشكل، لذيذة الثمار، نافعة للإنسان، فأسلوب التنكير هو ما أكسب المعنى هذا العموم وأعطاه هذه الاحتمالات.

- كما أن توالي النكرات في قوله تعالى: "كلمة خبيثة كشجرة خبيثة" أعطى المعنى عموما وسعة، فالتنكير في "كلمة خبيثة" دلّ على أنها كل كلمة اتصفت بجميع صفات القبح وليس فيها شيء من الطيب، ونكرت "شجرة" للدلالة على أنها ليست شجرة معينة، فهي كل شجرة لا ينتفع بها الانسان، ووصف الشجرة بالنكرة "خبيثة" يوحي إلى جمعها لكل صفات الخبث في منظرها وطعم ثمارها واشتمالها على المضّار الكثيرة.

2. سياق التوحيد والشرك:

1.2 قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿75﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴿76﴾ [النحل:75،76]

انتصب (**عبدا**) على البدلية من قوله تعالى:"مثلا" وهو على تقدير مضاف، وجملة (**لا يقدر على شيء**) صفة ل "عبدا"، و(**من**) موصولة ويقصد بها الحر، بقرينة أنه في مقابلة عبد مملوك، وجملة (**فهو ينفق منه**) مفرعة على التي قبلها دون أن تجعل صفة للرزق للدلالة على مضمون كلتا الجملتين مقصود لذاته كمال في موصوفه، وجعل المسند فعلا دلالة على التقوي، وجعل الفعل مضارعا للدلالة على التجدد والتكرار، (**سرا وجهرا**) حالان من ضمير "ينفق" وهما مصدران مؤولان بالصفة أي مسرا وجاهرا بإنفاقه، وجملة (**هل يستوون**) بيان لجملة "ضرب الله مثلا"، فبينت غرض التشبيه بأن المثل يراد منه عدم تساوي الحالتين، أما جملة (**الحمدلله**) فمعترضة بين الاستفهام المفيد للنفي وبين الإضراب بـ "بل" الانتقالية، (**أينما**) شرط حملت على "إذا" بجامع ما اشتركا فيه من الشرط، ثم

حذفت ياء "يأت" تخفيفا أو جزما على توهم أن "أينما" جازمة، (**أينما يوجهه**) تقرأ بفتح الجيم وسكون الهاء على ما لم يسم فاعله، وتقرأ بالتاء وفتح الجيم والهاء على لفظ الماضي، (**هل يستوي هو**) أي ذلك الأبكم الموصوف بتلك الصفات المذكورة، (**ومن يأمر بالعدل**) دلّت صلة "يأمر بالعدل" على أنه حكيم عالم بالحقائق ناصح للناس يأمرهم بالعدل، (**وهو على صراط مستقيم**) لا يتوجّه إلى مطلب ولا يبلغه إلاّ بأقرب سعي فالجملة حالية .[1]

هذه الآيات من سورة النحل التي تعرف عند العلماء بأنها سورة النعم حيث ذكرت نعم الله التي لا تعدّ ولا تحصى، كما أتت على ذكر دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته، وقد نزلت في مكة المكرمة لذا نجد أن المثلين الذين بين أيدينا سيقا بما يتماشى مع البيئة المكية والظروف الاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع المكي في تلك الفترة، حيث ضرب سبحانه في الآية الأولى مثلا لتوحيده والشرك به بالعبد المملوك والحرّ المالك، وهو واقع يعيشه الإنسان المكي، وذلك لتقريب وإيضاح المعنى للمخاطَبين وإقناع عقولهم.

يقول القرطبي في تفسير الآية:"أي كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر على شيء، ورجل حرّ قد زرق زرقا حسنا فكذلك أنا وهذه الأصنام، فالذي هو مثال في هذه الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال، ولا من أمر نفسه وإنما هو مسخر بإرادة سيده".[2]

فقد شبه سبحانه وتعالى الأصنام التي يعبدها المشركون في ضعفها وعجزها عن نفعهم بالعبد المملوك،الذي لا يملك حرية التصرف في نفسه، وشبه شأنه في رزقه إياهم بالإنسان الحرّ الذي لا يخضع لأمر غيره فهو حر في نفسه وماله ينفقه كيفما يشاء، وهذان الجانبان المتقابلان في هذا المثل الفرق بينهما واضح وجليّ لذا جيء بعدهما بالاستفهام الإنكاري.

1- ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج14، ص224-228، الألوسي، روح المعاني، م7، ص434، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص803.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص382.

يقول ابن عاشور: "فجاءت جملة (هل يستوون) بيان لجملة (ضرب الله مثلا) فبين غرض التشبيه بأن المثل مراد منه عدم تساوي الحالين، ليستدلبه على عدم مساواة أصحاب الحالة الأولى لصاحب الصفة المشبهة بالحالة الثانية، والاستفهام مستعمل للإنكار".[1]

أي هل يجوز التسوية بين عبد مملوك عاجز عن فعل شيء، وبين حر مالك لحق التصرف في نفسه وماله؟ فكيف لمن يدرك الفرق بين المملوك والحر أن يساوي بين الأصنام العاجزة وبين الخالق القادر على كل شيء؟

"وقال: هل يستوون؟ ولم يقل: هل يستويان؟ لأن "من" اسم مبهم يصلح للواحد، والاثنين، والجمع والمذكر والمؤنث، ويكون المعنى: هل يستوي الأحرار والعبيد؟".[2]

"وقوله: "الحمدلله" ثناء منه سبحانه على ذاته حيث ساق سبحانه هذه الأمثال الواضحة للتمييز بين الحق والباطل".3

وجملة (بل أكثرهم لا يعلمون) إضراب من الانتقال من الاستدلال عليهم إلى تجهيلهم في عقيدتهم، وهذه الجملة التقريعية لم تأت بداية بل أتت بعدما حان حينها وتهيّأ موضعها لتظهر، فقد مهّد لها بإقامة الدلائل وإرساء الحجة القاطعة، لتأتي هي مستوفية شروط وجودها، لأن التقريع لا يكون إلاّ بعد البيان، ثم إذا جاء هو دلّ على انقطاع الخصم وحصره وأنه لم يجد ما يقول، فكأنه سلّم للحجة بسكوته.[4]

كما يضرب الله في الآية الثانية مثلا على وحدانيته ورحمته بعباده، وهو أشدّ وضوحا من سابقه، فقد أبطل الله به قول عبدة الأوثان وبيّن به الفرق بين الموحّد والمشرك.

1- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج14، ص225.

2- مُحَمَّد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، م5، ص230.

3- مُحَمَّد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، م8، ص200.

4- ينظر : الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج14، ص226، عيسات قدور سعد، جماليات المثل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، ص205.

يقول الفخر الرازي: "قال مجاهد: كل هذا مثل إله الخلق وما يدعى من دونه من باطل، وأما الأبكم فمثل الصنم لأنه لا ينطق البتّة، وكذلك لا يقدر على شيء، وأيضا كل على عابديه لأنه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه، وأيضا إلى أيّ مهمة يوجّه الصنم لا يأتي بخير، أما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وتعالى".[1]

فالله تعالى ضرب هذا المثل لنفسه ولرحمته بعباده ولطفه بهم وكرمه عليهم، وللأوثان التي هي حجارة من صنع عابديها، وهي أعجز من أن تنفعهم أوتضرهم، وجاء المثل عبارة عن مقابلة بين مجموعة من الصفات فقد ذكر سبحانه أربع صفات للرجل الأبكم وقابلها بصفتين لمن يأمر بالعدل، فجاءت المقابلة بين (أبكم، لا يقدر على شيء، كلّ على مولاه، أينما يوجّه لا يأت بخير) وبين (من يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم)، فالأول جمع بين البكم والعجز وثقله على مولاه وعدم نفعه لنفسه ولغيره، أما الثاني فجمع بين صفتين حميدتين وهما صلاحه في نفسه ونفعه لغيره، والجمع بين هذه الأضداد الهدف منه إظهار التباين بين الفريقين ونفي التسوية بينهما وبالتالي نفي التسوية بين الله تعالى والأوثان التي تعبد معه.

"وهناك ملاحظة وجيهة هي أن الاستفهام في المثل الأول جاء بعد ذكر حال كل من الذين يراد المقارنة بينهما، أما في المثل الثاني فجاء الاستفهام بعد ذكر حال الأبكم وصفاته وقبل ذكر حال الآمر بالعدل وصفاته، وذلك فيما نراه لأجل التنويع في مواقع الاستفهام من جهة، ولأن البداهة الموجودة في المثل الثاني أكثر من وجودها في المثل الأول".[2]

ففي المثل الأول استدعى المقام ذكر الاستفهام بعد ذكر طرفي المقابلة، أما في المثل الثاني فناسب ذكره قبل انتهاء المقارنة، لأن عدم استواء الطرفين أمر بديهي فلا يستلزم ذكر الثاني لبيان تفاهة الأول.

1- فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، م20، ص89.

2- عيسات قدور سعد، جماليات المثل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، ص207.

"ومن هنا ذكر في الأول "هل يستوون" بالجمع لتقوية التصوير وتكثيف الملامح البيانية، إذ جماعة المالكين لا كجماعة المملوكين، وكلما كثر هؤلاء كلما ضعف أولئك مهما تساووا في العدد، لكن المثل الثاني اقتصر على لفظة "هل يستوي" لإظهار تحدّ أكبر مما مرّ في المثل الأول وهو أن الواحد مقابل الواحد لا مقارنة بينهما، فكيف إذا تكاثر أعداد هذا وتكاثر أعداد ذاك؟ حتى ولو فاق البكم عدد الآمرين بالعدل، بُلْه أن يتساووا أو يتماثلوا".[1]

فالمثلان في الآيتين الكريمتين أظهرا الفرق الشاسع بين الله تعالى الرزّاق الكريم القادر على كل شيء، وما أشرك معه في العبادة من أحجار شكّلها المشركون واتخذوها من دون الله معبودا، كما يظهران فطنة الموّحد لإبصاره الحق وغفلة المشرك لتفضيله المعبودات الباطلة على عبادة الله وحده.

➢ يقول القرطبي: "ولا يلزم من الآية أن العبيد كلّهم بنفس الصفة؛ فإن النكرة في الإثبات لا تقتضي الشمول عند أهل اللسان كما تقدّم، وإنما تفيد واحدا، فإذا كانت بعد أمر أو نهي أو مضافة إلى مصدر، كانت للعموم الشيوعي".2فمجيء كلمة "عبدا" نكرة أفاد واحدا، وهي للتقييد، فهذا العبد مملوك لغير الله مقيّد بسيده، أما التعريف بالاسم الموصول في "من رزقناه" فالمراد منه نسبة المزية والفضل لله عزّ وجلّ.

2.2قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:29]

(**ضرب**) فعل ماض مبني، (**الله**) لفظ الجلالة فاعل مرفوع، (**مثلا**) مفعول به منصوب، (**فيه**) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، (**شركاء**) مبتدأ مؤخر، والجملة صفة ل"رجلا"، (**متشاكسون**) صفة ل"شركاء"، (**ورجلا**) اسم معطوف على "رجلا"، (**سلما**) صفة منصوبة، (**لرجل**) جار ومجرور متعلق ب"سلما"، (**هل**) حرف استفهام، (**يستويان**) فعل مضارع وألف الاثنين

1- عيسات قدور سعد، جماليات المثل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، ص207.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص383.

فاعل، والجملة استئنافية، (**بل**) حرف إضراب انتقالي، (**أكثرهم**) مبتدأ مرفوع و**هم**مضاف إليه، (**لا**) حرف نفي، (**يعلمون**) جملة في محل رفع خبر.[1]

هذه الآية من سورة الزمر وهي سورة مكية، حيث تناولت عقيدة التوحيد لأنها أساس كل عمل صالح، والآية التي بين أيدينا تقرير لأمر التوحيد بأبلغ مثل.

يقول الزمخشري: معنى التشاكس والتشاخص: الاختلاف، تقول: تشاكست أحواله وتشاخصت أسنانه، أما "سلما لرجل" خالصا، والمعنى: ذا سلامة لرجل، أي خلوص من الشركاء.[2]

"وهذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك الذي يعبد آلهة شتّى، والموحّد الذي يعبد الله وحده، فكان حال الذي يعبد إلها واحدا أحسن وأصلح من حال الذي يعبد آلهة شتّى فهما لا يستويان في الحال والصفة".[3]

وصورة البيان في هذه الآية: فنّ إرسال المثل، فقد شبه حال من يعبد آلهة شتّى بمملوك اشترك فيه شركاء متشاجرون، فهم يتجاذبونه وهو يقف متحيرا لا يدري لأيهم ينحاز، وحال من يعبد إلها واحدا، فهو متوفر على خدمته، يلبي كل حاجاته.[4]

فالعبد يكون دائم الخوف مادام يملكه شركاء مختلفون فيما بينهم، فقد يأمره هذا بما ينهاه عن ذاك، فيكون في حيرة من أمره، كيف يوفّق بين الأوامر التي تأتيه من جهات مختلفة في وقت واحد، فيكون دائم الخوف والقلق، فهو إن أرضى بعضهم يكون أغضب البعض الآخر، في حين أن خوف هذا العبد من أسياده يقابله طمأنينة الخالص لمالك واحد، يعرف الطريق إلى رضاه فهو سالم لمالكه بعيدا عن تنازع الشركاء.

1- ينظر : مُحَمَّد سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، م8، ص4039-4040.

2- ينظر : الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1366هـ-1947م، ج4، ص126.

3- مُحَمَّد علي طه الدرة، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه، م8، ص276.

4- ينظر : محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج24، ص178.

والاستفهام في قوله: "هل يستويان مثلا" يجوز أن يكون تقريريا، ويجوز أن يكون إنكاريا، أي هل يكون هذان الرجلان المشبهان مستويين حالا بعدما علمتم من اختلاف حالي المشبهين بهما.[1]

وجملة "الحمدلله" يجوز أن تكون جوابا للاستفهام التقريري، فإن مثل هذا الاستفهام لا ينتظر السائل جوابا عنه فلذلك يصح أن يتولى الجواب عنه قبل أن يجيب المسؤول، وقد يبنى على أن المسؤول اعترف فلما وافق جوابه بغية المستفهم حمد الله على نهوض حجته، ويجوز أن تكون معترضة إذا جعل الاستفهام إنكاريا فتكون معترضة بين الإنكار وبين الإضراب الانتقالي في قوله: "بل أكثرهم لا يعلمون" أي لا يعلمون عدم استواء الحالتين ولو علموا لاختاروا لأنفسهم الحسنى منها، ولما أصرّوا على الإشراك.[2]

➢ نلحظ مجيء "رجل" نكرة في موضعين من الآية الكريمة، لغرض الإفراد والوحدة، فهما رجلان من الجنس نفسه متشابهان من حيث الخلقة البشرية، لكنّهما يختلفان في كون أحدهما عبد لمجموعة أسياد مختلفون فيما بينهم، أما الآخر فهو خالص لمالك واحد.

3. سياق الشّرك:

1.3. قال تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[الرعد:14]

تقدّم الجار والمجرور على المبتدأ في قوله تعالى:" له دعوة الحقّ" لإفادة التخصيص، أي دعوة الحقّ ملكه لا ملك غيره، والضّمير في (**له**) عائد على الله تعالى، والدّعوة مضافة للحقّ كما تضاف الكلمة إليه (**كلمة الحقّ**) للدلالة على أن الدّعوة مختصّة بالحقّ وأنها بمعزل عن الواقع، والمراد بالموصول (**الذين**) الأصنام، والضّمير في (**يدعون**) للمشركين، ورابط الصلة ضمير نصب محذوف أي: يدعونهم، و(**الواو**) في "لا يستجيبون" عائد على "الذين"، و(**إلى**) للانتهاء لدلالة "باسط" على أنه مدّ للماء كفيه مبسوطتين، والضّمير(**هو**) في قوله: "وما هو ببالغه" للماء، و(**الهاء**) في "ببالغه" للفم،

1- ينظر، الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص402.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص402-403.

وقيل: الضّمير(**هو**) للباسط، والهاء للماء، و(**اللام**) في "ليبلغ" للعلّة، وجملة (**وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال**) عطف على "والذين يدعون من دونه" لاستيعاب حال المدعو وحال الدّاعي، و(**في**) للظرفيّة المجازية للدّلالة على التّمكن في الوصف. [1]

يذكر الله تعالى في سورة الرّعد الكثير من الدّلائل على وحدانيته وقدرته ومثال ذلك هذه الآية، التي ضرب الله فيها مثلا لسفاهة الذين يدعون من دونه معبودات لا تنفع ولا تضر.

وفي تفسير هذه الآية يقول السّعدي: دعوة الحقّ هي عبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص الدّعاء لله تعالى، أما الأوثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله فلا تستجيب لمن يدعوها بشيء قليلًا كان أو كثيرًا.[2]

فالآية تصوّر حال المشركين الذين يجأرون بالدّعاء إلى من لا ينفعهم ولا يضرّهم، وتعرض نوعًا من التّشبيه المسمى بشبيه التّمثيل، وأول ما يشتمل عليه هذا التّشبيه من الحسن والرّوعة أنّه تصوير أخرج ما لا تقع عليه الحاسّة بما تقع عليه.[3]

يقول الطاهر ابن عاشور: "والكلام تمثيليّة، شبّه حال المشركين في دعائهم الأصنام وجلب نفعهم، وعدم استجابة الأصنام لهم بشيء، بحال الضّمآن يبسط كفّيه يبتغي أن يرتفع الماء في كفّيه المبسوطتين إلى فمه ليرويه، وما هو ببالغ إلى فمه بذلك الطّلب، فيذهب سعيه وطلبه باطلا".[4]

فهذا تمثيلٌ لبلاهة هؤلاء المشركين الذين يدعون من دون الله أصنامًا وينتظرون منها استجابة لدعائهم، ويعلّقون آمالهم بها في تحقيق ما يرجونه منها، فهم لن ينالوا منها شيئًا، فمثلهم كمثل ملهوف يبسط كفّيه طلبًا للماء بأن يبلغ فمه لكنّ الماء لا يسمع ولا يلبّي طلبه، ووجه الشّبه بين

1- ينظر : الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص108-110، أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج4، ص368-369، الألوسي، روح المعاني، م7، ص118.

2- ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ-2002م، ص415.

3- ينظر: مُحَمَّد بن سعد الدبل، النظم القرآني في سورة الرعد، عالم الكتب، دط، دت، ص147.

4- ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص109.

المشركين وهذا الضّمآن كونهما يبسطان أيديهما لمن لا يستطيع الاستجابة، فالمشرك يبسط يده لدعاء الأصنام والضّمآن يبسط يده طلبًا للماء، فلا الأصنام تستجيب ولا الماء يستجيب.

ومما أخرج الصورة البيانية مخرج المشاهد المحسوس اشتمالها على تأكيد الكلام، وذلك في قوله تعالى: "إلاّ كباسط كفّيه إلى الماء" فهو مثل يتضمن تأكيد الكلام السابق لكنّه جاء على صيغة الاستثناء، والغرض التهكّم بالذين يدعون من دون الله متصوّرين أنهم سينتفعون من آلهتهم.[1]

"فقيل لا يستجيبون لهم شيئًا من الاستجابة إلاّ استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعا، فهي في الحقيقة من باب التعلّق بالحال".[2]

أي لا يستجيبون لهم إلاّ كاستجابة الماء لضمآن بسط كفّيه طلبًا له فلو بقي على هذا الحال طوال حياته فلن يجيب طلبه فهو لا يسمع له ولا يشعر بعطشه ولا يستجيب لدعائه.

وبعد أن تقدّم ما حقّه التّأخير(تقدّم الجار والمجرور على المبتدأ) في قوله تعالى: "له دعوة الحقّ" والذي أفاد الاختصاص والقصر، يأتي التّصريح بمفهوم جملة القصر "والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء" فكانت بيانًا لها، والمقصود بيان عدم استحقاق الأصنام أن يدعوها الدّاعون.[3]

- ويضفي إلى ذلك أسلوب التّنكير في "شيئًا" زيادة في بيان عدم استحقاقها للألوهية وزيادة في تحقيرها، فمجيء لفظ "شيئًا" نكرة أفاد العموم، أي مهما كان هذا الشّيء كبيرًا أو صغيرًا، قليلًا أو كثيرًا، فهذه الأصنام أعجز وأضعف من منحه لداعيها.
- أمّا التّنكير في "باسط" أفاد عدم تحصيل شيء من النّعم في دعاء الأصنام، فهؤلاء المشركون مثل من أرهقه العطش وقتله الضّمأ، فإذا وجد الماء ظنّ أنه سيروى، لكن الماء يضيع بين أصابعه ولا يبلغ فمه.

2.3 قال تعالى:﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:31]

1- ينظر: مُحَمَّد بن سعد الدبل، النظم القرآني في سورة الرعد، ص148.

2- محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج13، ص108.

3- ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص108.

(**حنفاء**) حال وصاحبه واو الجماعة في"اجتنبوا"، (**لله**) شبه جملة متعلق ب"حنفاء"، (**غير**) حال ثانية مؤكّدة وهو مضاف، (**مشركين**) مضاف إليه مجرور، (**به**) جار ومجرور متعلّق ب"مشركين"، (**ومن**) **الواو** عاطفة و**من** اسم شرط مبتدأ، (**يشرك**) فعل شرط وفاعله "هو" مستتر، (**بالله**) شبه جملة متعلق بالفعل "يشرك"، (**فكأنما**) **الفاء** واقعة في جواب الشرط و**كأن** حرف تشبيه ونصب، وما كافة لها عن العمل، (**خرّ**) فعل ماض وفاعله "هو"، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وجملة الشرط والجواب في محل رفع خبر "من"، (**من السماء**) جار ومجرور متعلق بـ"خرّ"، (**فتخطّفه**) **الفاء** عاطفة، **تخطّف** فعل مضارع مرفوع والهاءمفعول به، (الطّير) فاعل مرفوع، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، (**أو**) حرف عطف، (**تهوي**) مضارع مرفوع، (**به**) متعلقان بما قبلهما، (**الريح**) فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، (**فيمكان**) متعلقان بما قبلهما، (**سحيق**) صفة لـ"مكان".[1]

وفي تفسير الآية الكريمة يقول الطّبري: "يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشّرك، مستقيمين لله على إخلاص التّوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئًا من دونه، فإنه من يشرك بالله شيئًا من دونه فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقّ وهلاكه وذهابه عن ربّه، مثل من خرّ من السماء، فتخطّفه الطّير فهلك، أو هوت به الرّيح في مكان سحيق، يعني من بعيد".[2]

فهذا مثل ضربه الله تعالى لحثّ عباده على اجتناب الشرك به وعبادة غيره، حيث مثّل سبحانه لحال المشرك بمن سقط من السّماء فأخذت الطير تنهش لحمه، أو كمن رمت به الرّيح في مكان بعيد.

والتّشبيه في هذه الآية تشبيه مركّب، كما يجوز أن يكون من التّشبيه المفرّق فيقابل كل واحد من أجزاء الممثّل بالممثّل به، وعلى هذا فيكون شبّه التّوحيد في علُوّه وشرفه بالسماء، وشبّه تارك التّوحيد

1- ينظر : مُحَمَّد سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، م6، ص3041-3042، مُحَمَّد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه بيانه، م6، ص161.

2- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م5، ص313.

بالساقط من السّماء إلى أسفل سافلين، والطّير التي تتخطّف أعضاءه وتمزّقه بالشياطين فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه، والرّيح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السّماء.[1]

- والتعريف بالاسم الموصول في بداية الآية في قوله تعالى: "ومن يشرك بالله" أفاد إثبات السلوك والفعل فهو فعل عام على كل من يشرك بالله.
- وجاء بالفعل في قوله تعالى: "كأنّما خرّ من السماء" للتأكيد على حادثة الهبوط والسقوط من المكان العالي جدّا إلى أسفل سافلين، من الإيمان إلى الكفر، من السّماء إلى الطّين، من السموّ إلى السّفلية، من التّميز والندرة إلى الزحام والكثرة، وهذا تصوير لسوء مصير المشرك وعاقبته، فهو إما أن تفترسه الطيور أو يهلك من أثر السقوط.

وهذا الوصف لحال المشرك وسوء مصيره وعاقبته يجعلنا نستحضر بيتين للشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي في قصيدته "قفي ساعة" التي يحكي فيها واقع الأمة العربية، حيث يقول واصفًا حزنه:

ويحملني كالصقر يحمل صيده ويعلو به فوق السّحاب يطاوله

فإن فرّ من مخلابه طاح هالكا وإن ظلّ في مخصابه فهو آكله

فقد شبه الحزن بالصقر الذي يحمله ويحلّق به عاليّا مما يجعل مصيره يائسًا في كل الأحوال، سواء فرّ منه أو بقي في مخلابه.

3.3قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[الحج:73]

جملة (**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له**) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل، (**ضرب مثل**) فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعل، (**فاستمعوا**) **الفاء** الفصيحة، و(**استمعوا**) فعل ماض، و**الواو** فاعل، (**له**) متعلقان ب"استمعوا"، (**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو**

1- ينظر: بن القيم، التفسير القيم، ص367.

اجتمعوا) الجملة مفسّرة للمثل، وجملة (**تدعون**) صلة، (**من دون الله**) حال، وجملة (**لن يخلقوا ذبابا**) خبر إن، (**ولو**) **الواو** عاطفة على محذوف هو حال أي انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو في هذه الحال التي اجتمعوا لها، و (**لو**) شرطية، (**اجتمعوا**) فعل وفاعل، (**له**) متعلقان بـ" اجتمعوا"، (**وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**) (**الواو**) عاطفة، و(**إن**) شرطية، (**يسلبهم**) فعل الشرط و**الهاء** مفعول به، (**الذباب**) فاعل، (**شيئًا**) مفعول به ثان، (**لا**) نافية، (**يستنقذوه**) جواب الشرط، وجملة (**ضعف الطالب والمطلوب**) حال.[1]

الآية الكريمة من سورة الحج التي خاصم الله فيها المشركين وأطلعهم على آيات وحدانيته ودلائل ضعف معبوداتهم، وقد استفاض الحديث في هذه السورة عن الخلق والتّكوين فجاء المثل مناسبا للسيّاق، حيث بيّن سبحانه قدرته على ذلك وعجز ما يعبد من دونه.

يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية: "غاية التّجهيل بأن أشركوا إلهًا قدر على المقدورات كلها وتفرّد بإيجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي أعجز الأشياء، وبيّن ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقلّ الأحياء وأذلّها ولو اجتمعوا له، بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقلّ الأذلّ واستنقاذ ما يتخطّفه من عندها، وهذا يبيّن ضعف الصّنم وعابده".[2]

والتشبيه في هذه الآية خفيّ ضمنيّ، حيث شبّه هيئة الأصنام في العجز بهيئة من تعذّر عليه خلق الذباب أو حتى حماية نفسه منه، وذكر سبحانه الذباب كونه أضعف المخلوقات وأحقرها، فبيّن عجز ما يعبد من دونه عن خلق هذا المخلوق الضّعيف حتى بالتعاون والاجتماع، بل إنهم أعجز عن دفعه إذا أراد أن يسلبهم شيئًا.

- مما زاد في بيان عجز هذه الأصنام مجيء التّنكير في "ذبابًا" و"شيئًا" للدلالة على التّحقير والتّقليل، فهذه الآلهة عاجزة عن خلق ذباب رغم حقارته، بل إنها أعجز من استرجاع شيء سلبه الذّباب منها مهما كان هذا الشيء قليلًا.

1- ينظر : محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد، حمص، سوريا، ط3، 1412هـ-1992م، م6، ص481.

2- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح وتع : مُحَمَّد صبحي بن حسن، محمود أحمد الأطرش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ-2000م، م1، ص459.

➢ ومجيء "الذباب" الثانية معرفة للعهد الذّكري.

4.3 قال تعالى: "﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]

(مثل الذين) مثل مبتدأ وهو مضاف، **الذين** اسم موصول في محل جر بالإضافة، **(اتخذوا)** جملة صلة الموصول لا محل لها، **(من دون)** جار ومجرور متعلق ب"اتخذوا"، و**دون** مضاف، **(الله)** لفظ جلالة مضاف إليه، **(أولياء)** مفعول به منصوب، **(كمثل)** جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و**(مثل)** مضاف، **(العنكبوت)** مضاف إليه، **(اتخذت)** جملة فعلية في محل نصب حال من العنكبوت، **(بيتا)** مفعول به منصوب، **(وإن أوهن البيوت) الواو** استئنافية، **إن** حرف نصب، **أوهن** اسم إن منصوب، **البيوت** مضاف إليه مجرور، **(لبيت العنكبوت) اللام** للتوكيد، **بيت** خبر إن مرفوع، **العنكبوت** مضاف إليه مجرور.[1]

الآية الكريمة من سورة العنكبوت والتي سميت بهذا الاسم لأن الله تعالى ضرب فيها مثلا شبه فيه المشركين وآلهتهم بالعنكبوت وبيتها، فبعد أن بيّن سبحانه في السورة مدى سخافتهم في أنهم يدعون آلهة نحتوها بأيديهم، ضرب هذا المثل الذي يحط من شأنهم وشأن آلهتهم لمستوى العنكبوت.

وقد ذهبت كتب التفسير إلى أن المقصود بالمثل هو أن هؤلاء المشركين في اتخاذهم الأصنام والأوثان آلهة من دون الله يرجون نفعهم، كمثل العنكبوت الضعيفة التي اتخذت بيتا زادها ضعفًا، فهو بيت هيّن لا يقيها من شيء.

وهذا ما ذهب إليه السّعدي في تفسير الآية حيث يقول: "العنكبوت من الحيوانات الضعيفة وبيتها أضعف البيوت فما ازدادت باتخاذه إلاّ ضعفًا، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دون الله

1- ينظر : بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، م7، ص566-567، محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، م7، ص189.

أولياء، فقراء عاجزون منجميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دون الله يتعزّزون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفًا إلى ضعفهم، ووهنًا إلى وهنهم".[1]

ويقول الطاهر بن عاشور: "لما بيّنت لهم الأشباه والأمثال من الأمم التي اتّخذت الأصنام من دون الله فما أغنت عنهم أصنامهم لما جاءهم عذاب الله، أعقب ذلك بضرب المثل لحال جميع أولئك وحال من ماثلهم من مشركي قريش في اتخاذهم ما يحسبونه دافعا عنهم وهو أضعف من أن يدفع عن نفسه، بحال العنكبوت تتخذ لنفسها بيتا تحسب أنها تعتصم به من المعتدي عليها فإذا هو لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزّق".[2]

غير أن العلم الحديث يثبت أن بيت العنكبوت من أقوى بيوت الكائنات المعروفة من حيث متانة نسجه، فخيوط الحرير التي تنتجها أنثى العنكبوت لصناعة هذا البيت شديدة القوة والمتانة، كما أنه يستطيع مقاومة الرياح والإمساك بفرائس العنكبوت التي لا تستطيع الإفلات منه مهما بلغت محاولاتها، وبما أن الحقائق العلمية لا يمكن أن تتعارض مع القرآن الكريم نستنتج -والله أعلم- أن الوهن المقصود في الآية ليس الوهن الحسي وإنما المقصود الوهن المعنوي، الذي نلحظه في طبيعة العنكبوت المتميّزة بالعدائية حيث يتجلى هذا العداء بعد قضاء المصالح، فأنثى العنكبوت تقوم بقتل الذكر بعد أن تنجب منه الصغار وتلقيه خارج البيت، وبعد أن يكبر الصغار يقومون بدورهم بقتل الأم وإلقائها خارج البيت، فالمقصود ببيت العنكبوت في هذه الآية -والله أعلم- ليس مسكن العنكبوت، بل المقصود أسرة العنكبوت، فهي أسرة عجيبة من أسوأ وأوهن الأسر على الإطلاق.

وتظهر بلاغة الآية الكريمة في التّشبيه المركب، حيث شبّه سبحانه المشركين فيما اتخذوه معتمدًا ومتكلًا في دينهم، بالعنكبوت فيما اتخذته بيتا، وجاءت جملة "إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت"

1- ينظر : السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص631.

2- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج20، ص252.

معترضة مبيّنة وجه الشّبه.[1] والغرض من هذا التّشبيه هو بيان ضعف الأصنام والأوثان التي ليست أهلا بأن تدعى من دون الله.

➢ وللمبالغة في بيان ضعف هؤلاء المشركين وآلهتهم، جاءت كلمة "العنكبوت" معرّفة لبيان جنس هذه العنكبوت ومنه تحقير الأصنام وعابديها.

5.3 قال تعالى:﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الروم:28]

(**من**) في قوله سبحانه: "**ضرب لكم مثلا من أنفسكم**" ابتدائية، والجار والمجرور في محل نصب صفة لقوله: "مثلا"، أي ضرب لكم أيها الناس مثلًا، يظهر منه بطلان الشّرك ظهورًا واضحًا، فهذا مثل كائن في أحوال أنفسكم، وقوله تعالى: "**هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم**" تصوير وتفصيل للمثل، والاستفهام للإنكار والنفي، و(**من**) الأولى للتبعيض، والثانية لتأكيد النفي، (**شركاء**) مبتدأ، و(**لكم**) خبره، وقوله: "**من ما ملكت أيمانكم**" متعلق بمحذوف حال من شركاء، وقوله: "فأنتم فيه سواء" جواب للاستفهام الذي هو بمعنى النفي، والجملة مبتدأ وخبر، و(**تخافونهم**) خبر ثان ل"أنتم"، وقوله: "**كخيفتكم أنفسكم**" صفة لمصدر محذوف، أي: تخافونهم خيفة كائنة مثل خيفتكم مَن هو من نوعكم.[2]

الآية من سورة الرّوم وهي سورة مكية لذا نجده سبحانه وتعالى يضرب للمشركين مثلًا منتزعا من واقعهم، فهم لا يحتاجون إلى تدقيق النّظر وإعمال العقل لفهم مغزاه.

حيث يخاطِب جلّ شأنه المشركين: "هل لكم من عبيدكم ومماليككم شريك يشارككم في أموالكم بالسويّة، تخافون أن يقتسموا أموالكم معكم كما يخاف بعضكم من شريكه الحرّ أن يقسم

1- ينظر، محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج20، ص341، الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج20، ص253.

2- ينظر : مُحَمَّد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، م11، ص81-82.

معه المال؟ هل ترضون لأنفسكم من عبيدكم بهذا؟ لا شكّ أنكم لا ترضون بذلك، فالله أولى بألاّ يكون له شريك في ملكه ومن مخلوقاته وعبيده، بمثل ذلك من ضرب الأمثال وغيره نبيّن الحجج والبراهين بتنويعها لقوم يعقلون".[1]

ويقول ابن القيم: " وهذا دليل قياس احتجّ الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجّة يعرفون صحّتها في نفوسهم لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الانسان من نفسه ويحتجّ عليه بما هو في نفسه مقرّر عندها، ومعلوم لها".[2]

فالمثل مضروب ليبيّن دليلًا من دلائل وحدانية الله تعالى الذي غفل عنه المشركون وهو الرّزق، فالله يرزقهم من متاع الدنيا الأموال والعبيد وغيرها، بينما يتوجّهون بالشكر والعبادة لغيره.

واستهلّ ضرب المثل هنا ب: "هل لكم" وهو تساؤل في محلّ الحضّ على الشيء، ألا تتقاسمون مواليكم أرزاقكم بالسوية فتصبحون شركاء؟ لكن الجواب لا يوجد لكونه معلومًا كلّ العلم، بأنهم يرفضون ولا يقبلون، وفي ترك الجواب ها هنا أبلغ الجواب على العرض والطّلب.[3]

- وعدم التصريح بلفظ "العبد" والتعريف بالاسم الموصول في قوله سبحانه تعالى: "ما ملكت أيمانكم" غرضه الإبهام، وإخفاء لذكر الذات وإيثار لذكر الصّفة عليها.
- أما التعريف بالاسم الموصول في قوله سبحانه: "ما رزقناكم" فهو للقصر ونسبة مزيّة الرّزق لله وحده.

4. سياق الضلال بعد الهدى (الانتكاسة):

1.4 قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:71]

1- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، ط3، 1436هـ، ص407.

2- ابن القيم، التفسير القيم، ص405.

3- ينظر، عيسات قدور سعد، جماليات المثل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، ص215.

(**قل**) فعل أمر، والفاعل "أنت"، (**أندعو**) الهمزة للاستفهام الإنكاري و**ندعو** مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره "نحن"، (**من دون**) جار ومجرور متعلق ب"ندعو"، (**الله**) لفظ جلالة مضاف إليه، (**ما**) اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به، (**لا**) نافية، (**ينفعنا**) مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره "هو"، و**نا** ضمير مفعول به، (**الواو**) عاطفة، (**لا**) نافية، (**يضرّنا**) مثل ينفعنا، (**الواو**) عاطفة، (**نردّ**) مضارع مرفوع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره "نحن"، (**على أعقابنا**) جار ومجرور متعلق ب "نردّ"، و**نا** ضمير مضاف إليه، (**بعد**) ظرف زمان متعلق بـ"نردّ"، (**إذ**) ظرف للزمن الماضي في محلّ جرمضاف إليه، (**هدانا**) فعل ماض مبني، و**نا** ضمير مفعول به، (**الله**) لفظ جلالة فاعل مرفوع، (**الكاف**) حرف جر، (**الذي**) اسم موصول في محل جر متعلق بحال من فاعل "نردّ" أي: خاسرين كالذي استهوته الشياطين، (**فيالأرض**) جار ومجرور متعلق ب"استهوته"، (**حيران**) حال منصوبة من ضمير المفعول في "استهوته".[1]

في هذه الآية من سورة الأنعام يضرب الله مثلًا يردّ به على من رجع إلى عبادة الأصنام بعد أن هداه الله للإسلام.

وفي معنى الآية يقول الفخر الرازي: "اعلم أن المقصود من هذه الآية الردّ على عبدة الأصنام، وهي مؤكدة لقوله تعالى قبل ذلك: "قل أني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله" فقال: "قل أندعو من دون الله" أي: نعبد من دون الله النافع الضارما لا يقدر على نفعنا ولا ضرّنا ونردّ إلى أعقابنا راجعين إلى الشّرك بعد أن أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام؟".[2]

وقد اختلف العلماء في اشتقاق "استهوته" ويورد الجرجاني هذا الاختلاف في كتابه درّ الأسرار فيقول: " استهوته الشياطين في الأرض، أي استغوته وزيّنت له هواه ودعته إليه، يقال: هوى يهوي

1- ينظر : محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج7، ص188-189.

2- فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، ج13، ص31.

إلى الشيء أسرع إليه. وقال الزجاج: هوى من هوى يهوي، من هوى النفس، أي زيّن له الشيطان هواه. وقراءة الجماعة "استهوته"، أي هوت به".[1]

فالله يضرب مثلا لمن أضلّه الشيطان فأعرض عن آيات ربّه، بعد أن علم فيها من الحجج والبراهين القاطعة على وحدانية الله تعالى فكان بذلك من الخاسرين.

فهو رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق ذلك مثل من يضل بعد الهدى، فالكافر حيران يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيب.[2]

ويتضمّن المثل الذي بين أيدينا صورة بيانية تتمثل في التّشبيه التمثيلي المنفي في قوله تعالى: "كالذي استهوته الشياطين في الأرض"، والمشبه هو أنه لا ينبغي لنا ولا يمكن أن نعبد غير الله بعد أن هدانا، لأنا لو فعلنا ذلك لكنّا مثل من حيّرته الشياطين، فهو تشبيه جملة بجملة، واستفيد النفي من الإنكار في قوله: "أندعو".[3]

- والتعريف بالاسم الموصول في قوله تعالى: "ما لا ينفعنا" للتحقير وبيان عدم استحقاق هذه الآلهة للعبادة، لأن صلة الموصول جاءت حجّة دامغة وبرهانًا قويًا على عجز هذه الآلهة.
- وفي قوله تعالى: "هدى الله" تعريف بالإضافة غرضه القصر والحصر، فالله هو الهادي يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء.

2.4 قال تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴿175﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴿176﴾[الأعراف:175،176]

1- الحمزاوي، درّ الأسرار، تح : أسامة عبد العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ج1، ص317.

2- ينظر : مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، تح : محمّد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط1، 1410هـ-1989م، ص324.

3- ينظر : شاكر عواد السامرائي، البيان القرآني وفنون البلاغة من سورة الأنعام، دار البسملة للكتاب، بغداد، ط1، 1444هـ-2022م، ص96.

(**فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**) (**الفاء**) فصيحة، (**مثله**) مبتدأ، و(**كمثل الكلب**) خبره، (**إن**)شرطية، و(**تحمل**) فعل الشرط، (**عليه**) جار ومجرور متعلقان ب "تحمل"، (**يلهث**) جواب الشرط، و(**أو**) حرف عطف، (**تتركه**) عطف على فعل الشرط وجوابه المتقدمين، (**ذلك مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا**) (**ذلك**) مبتدأ، و(**مثل القوم**) خبره، والجملة حالية، (**الذين**) نعت لليوم، وجملة(**كذّبوا**) لا محل لها لأنها صلة، و(**بآياتنا**) جار ومجرور متعلقان بـ"كذّبوا".[1]

تتضمن الآيتان الكريمتان مثلا قصصيا لمن أعرض عن آيات ربّه بعد أن هداه الله، ولم يحدد صاحب القصة وذكرت أوصافه فقط، لأن ذكر الأمثال القصصية يكون للاعتبار بحال الأمم السابقة وليس لمعرفة أسماء الأشخاص، فالفائدة تتعلق بالقصة لا بصاحبها.

فصاحب القصة لم يرد اسمه في القرآن الكريم ولا في الأحاديث الصحيحة وإنما ورد في بعض الأخبار التي نقلت عن أهل الكتاب وغيرهم من القصاصين، قيل أن اسمه بلعم ابن باعوراء وقيل هو أمية بن الصلت، وأيا كان فهو رجل آتاه الله علمًا بالكتب السماوية، وعرّفه طريق الحق، لكنه لم يتبعه واتبع هواه، واستحوذ عليه شيطانه فأنساه ذكر الله، فسلخه الله مما كان عليه.[2]

"وقيل أن هذا التّمثيل عام في جميع المكذّبين بآيات الله لقوله تعالى: "ذلك مثل الذين كذّبوا بآياتنا" قال ابن عباس: يريد أهل مكة كانوا يتمنون هاديًا يهديهم وداعيًا يدعوهم إلى طاعة الله، ثم جاءهم من لا يشكّون في صدقه وديانته فكذّبوه فحصل التمثيل بينهم وبين الكلب الذي إن تحمل عليه يلهث، لأنهم لم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما جاءهم الرسول فبقوا على الضلال في كل الأحوال مثل هذا الكلب الذي بقي على اللهث في كل الأحوال".[3]

وهذا تشبيه تمثيلي حيث شبه الله سبحانه وتعالى حال الضّال بعد الهدى بحال الكلب، وبما أن للكلب صفات حميدة كالوفاء فإن التّشبيه جاء مقيّدًا بصفة واحدة من صفات الكلب وهي اللّهث في كلّ الحالات، والغرض من هذا التّشبيه بيان بشاعة حال الكافر في اتباعه هواه وميله عن الهدى.

1- محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م3، ص495.

2- ينظر : مُحَمَّد بكر اسماعيل، الأمثال القرآنية دراسة تحليلية، ص131.

3- فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، ج15، ص57.

- وللزيادة من دقّة التّصوير وعمق التحقير جاءت لفظة "الكلب" معرّفة في قوله تعالى:"فمثله كمثل الكلب" فهو كالكلب المشاهد المرئي.[1]
- والتعريف بالاسم الموصول في قوله تعالى: "الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها" أفاد إثبات السلوك والفعل فهو عام في كل من كذّب بآيات الله.

3.4 قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[النحل:112]

(**الواو**) استئنافية، (**ضرب الله مثلا**) فعل وفاعل ومفعول به، (**قرية**) بدل من "مثلًا"، (**كانت**) فعل ماض ناقص واسمها مستتر، و(**آمنة**) خبرها، (**مطمئنة**) خبر ثان، وجملة (**يأتيها**) خبر ثالث وهو فعل مضارع ومفعول به مقدّم، (**رزقها**) فاعل مؤخّر، (**رغدًا**) مصدر في موضع الحال، (**من كلّ**) جار ومجرور متعلقان ب"يأتيها"، (**مكان**) مضاف إليه مجرور، (**فكفرت**) **الفاء** عاطفة و**كفرت** فعل ماض والفاعل مستتر يعود على "القرية"، (**بأنعم**) جار ومجرور متعلقان ب "كفرت"، (**الله**) لفظ جلالة مضاف إليه، (**فأذاقها**) فعل ومفعول به والفاعل مستتر، (**لباس**) مفعول به ثان، (**الجوع**) مضاف إليه مجرور، (**الواو**) عاطفة، (**الخوف**) معطوف على "الجوع"، (**بما**) **الباء** حرف جر و**ما** حرف مصدري، (**كانوا يصنعون**) صلة الموصول لا محلّ لها.[2]

ضرب الله هذا المثل في سياق سورة النحل التي أتت على ذكر نعم الله سبحانه وتعالى على عباده حتى أسماها العلماء سورة النعم، فكان مناسبًا للمقام أن يذكر هذا المثل ضمنها، لما فيه من ذكر لنعم الله التي كفر بها عباده.

1- ينظر : عزيز سليم علي القريشي، أثر التعريف والتنكير في دلالة المجاز القرآني، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، كلية التربية، جامعة واسط، ج2، العدد28، 2018م، 03.

2- ينظر : محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م5، ص375، محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج14، ص401.

فقد ضرب هذا المثل في قرية كانت آمنة من الخوف يجيئها رزقها سهلًا من كل مكان، فكفر أهلها بما أنعم الله عليهم من النعم ولم يشكروه، فجازاهم بالجوع والخوف الشديد.[1]

وقيل القرية المقصودة هي مكة، فالله ضربها مثلًا لغيرها من البلاد، أي أنها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر أهلها أصابهم القحط فكيف بغيرها من القرى، وقيل أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى.[2]

وأيا كانت القرية فهي عبرة للأمم التي تعيش في أمن وسكينة، أنها إن كفرت بنعم الله وقابلتها بالمعصية، يبدّل الله نعمه إلى نقم، فيسلبها الأمن ويذيقها الجوع والخوف.

ومما يظهر إعجاز الآية وبديع النّظم فيها ما تضمنته من صور البيان والتي سنوجزها في النقاط الآتية:

-المجاز المرسل: في قوله تعالى: "ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة" أي أهل القرية، والعلاقة المحلية إذ أطلق المحل وأريد الحال.[3]

-الاستعارة: في قوله: "يأتيها رزقها" فقد شبّه الرّزق بالإنسان وحذف المشبه به، وترك لازما من لوازمه وهو "الإتيان"، على سبيل الاستعارة المكنية.

-الاستعارة: في قوله تعالى: "فأذاقها الله لباس الجوع والخوف"، فالإذاقة حقيقتها إحساس اللّسان بأحوال الطّعام وهي مستعارة هنا إلى الإحساس بالخوف إحساسًا مكينًا كتمكّن ذوق الطّعام من فم ذائقه فلا يجد له مدفعا. واللباس حقيقته الشّيء الذي يلبس وإضافته إلى الجوع والخوف قرينة على أنه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كملازمة اللباس لابسه، ولما كان اللّباس مستعارًا لإحاطة ما غشيهم من الجوع والخوف وملازمته، أريد إفادة أنّ ذلك متمكّن منهم مستقرًا في إدراكهم

1- ينظر : جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص280.

2- ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص453.

3- محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج14، ص402.

استقرار الطّعام في البطن فاستعير له فعل الإذاقة جمعًا بين الطّعام واللّباس، فحصل في الآية استعارتين: الأولى: استعارة الإذاقة وهي تبعيّة مصرّحة، والثانية: استعارة اللّباس وهي أصلية مصرّحة.[1]

➢ ومما يظهر أيضا إعجاز الآية وبديع النظم فيها ما تضمنته من إحاطة له سبحانه بمعاني كتابه العزيز، فالتنكير في "قرية" أفاد العموم والإطلاق، فلم يعن قرية دون أخرى، وفائدة التنكير وعدم تحديد قرية معينة المبالغة في العظة والتّذكير، فمصير كل قرية مرهون بسلوكها.

5. بيان الحق والباطل:

1.5 قال تعالى﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[الرعد:17]

جملة (**أنزل من السّماء ماءً**) استئناف ابتدائي أفاد تسجيل حرمان المشركين من الانتفاع بدلائل الاهتداء، (**بقدرها**) في موضع الحال من أودية، وقال الحرفي: (**بقدرها**) متعلق ب"سالت"، وقال أبو البقاء: (**بقدرها**) صفة ل"أودية"، (**زبد**) مرفوع بالابتداء وخبره في قوله: "مما توقدون"، و(**من**) في قوله: "ومما توقدون" لابتداء الغاية و(**ما**) موصولة، و(**عليه**) متعلق ب "توقدون"، و(**في النار**) متعلق ب"توقدون"، وانتصب (**ابتغاء**) على أنه مفعول لأجله، وجملة (**ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله**) معترضة بين جملة "فاحتمل..." وجملة "الزبد..."، وحذف مضاف في قوله: "يضرب الله الحق والباطل" والتقدير: يضرب الله مثل الحقّ والباطل لدلالة فعل "يضرب" على تقدير المضاف، وجملة (**فأما الزّبد**) معطوفة على "فاحتمل السيل زبدًا رابيًا" وافتتحت ب"أما" للتوكيد وصرف ذّهن السامع إلى الكلام، وانتصب (**جفاءً**) على الحال أي مضمحلًا متلاشيا، وجاءت جملة (**كذلك يضرب الله الأمثال**) تأكيدا لجملة "كذلك يضرب الله الحق

1- ينظر، الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج14، ص306-307.

والباطل" لأن كلمة أمثال تدل على العموم، وضربه سبحانه للحقّ والباطل دلّ على صنف من أصناف المثل.[1]

في هذه الآية يضرب الله سبحانه وتعالى مثلًا للحقّ لبيان ثباته وبقائه ومثلًا للباطل لبيان اضمحلاله وزواله، وهي معان مجردة فجاء المثل مصوّرًا هذه المعاني بصور منتزعة من الواقع المشاهد ليكون ذلك أكبر إقناعا للعقل، وقد اشتملت هذه الآية على ثلاث أمثال ضربها الله في مثل واحد.

"يقول: كما اضمحلّ هذا الزّبد فصار جفاءً لا ينفع ولا ترجى بركته كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله، وكما مكث هذا الماء في الأرض فربّت بركتها وأخرجت نباتها، وكذلك الذهب والفضة حين أدخلا النار فذهب خبثهما كذلك يبقى الحقّ لأهله، وكما اضمحلّ خبث هذا الذهب وتلك الفضة حين أدخلا النار كذلك يضمحل الباطل عن أهله".[2]

فالله سبحانه وتعالى شبّه الحقّ بالماء الذي أنزل من السّماء، وشبّه نفعه لأهله بما في هذا الماء من نفع للناس، وشبّه الباطل بزبد السيل الذي يعلوه وزبد المعادن الذي يطفو فوقها إذا أذيبت لتخليصها وسبكها، ووجه الشّبه بين الباطل والزّبد كونه يزول ويضمحّل، ويبقى الماء الصافي والمعادن الخالصة التي ينتفع بها النّاس فكذلك يبقى الحقّ لأهله.

وقد أتت الآية الكريمة على ذكر ثلاث صور للطّباق: (الماء والنار)، (الحقّ والباطل)، (يذهب ويمكث) وذلك لبيان الفرق الشاسع بين الضدين ولتقرير زوال الباطل إذا اجتمع مع الحقّ.

كما انطوت تحت هذا المثل أنواع من البلاغة:

-"بلاغة حذف المضاف في قوله تعالى: "فسالت أودية بقدرها" حذف المضاف في موضعين للتقدير: فسالت مياه أودية بقدر مياهها، فليس المعنى أنها سالت بقدر أنفسها لأن أنفسها على حال واحدة، وإنما تكون كثرة المياه وقلتها وشدّة جريها ولينه على قدر المياه المنزلة قلّةً وكثرةً فحذف المضافان اختصارًا واعتمادًا على شهادة العقل".

1- ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص116-120، أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص182-183، محمّد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، م7، ص465.

2- محمّد سعد الدبل، النظم القرآني في سورة الرعد، ص132.

➢ مجيء التنكير في "أودية" للتبعيض، وقال فيها أبو حيان: "ونكّر أودية لأن المطر إنّما يدلّ عن طريق المناوبة، فتسيل بعض الأودية دون بعض، ومعنى بقدرها أي على صغرها وكبرها، أو بما قدّر له من الماء بسبب نفع المطر عليهم لا ضرره".[1]

6. بيان حقيقة الدنيا الفانية:

1.6قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس:24]

(إنّما مثل الحياة الدّنيا كماء أنزلناه من السّماء) كلام مستأنف، **(إنّما)** كافة مكفوفة، **(مثل)** مبتدأ، (الحياة) مضاف إليه، **(الدنيا)** صفة، **(كماء)** جار ومجرور خبر "مثل"، وجملة **(أنزلناه)** صفة ل"ماء"، **(من السماء)** متعلّقان ب"أنزلناه"، **(فاختلط) الفاء** عاطفة، **اختلط** عطف على "أنزلناه"، **(به)** متعلقان ب"اختلط"، **(نبات الأرض)** فاعل "اختلط"، **(مما يأكل الناس)** الجار والمجرور حال من "نبات الأرض"، وجملة **(يأكل الناس)** صلة، **(الأنعام)** عطف على الناس، **(حتى)** حرف غاية، و**(إذا)** ظرف لما يستقبل من الزّمن متعلّق بالجواب وهو "أتاها"، وجملة **(أخذت)** مضافة إليها، **(الأرض)** فاعل، و**(زخرفها)** مفعول به، **(ازينّت)** عطف على "أخذت"، **(وظنّ)** عطف أيضا، **(أهلها)** فاعل ظنّ، **(أن وما في حيّزها)** سدّت مسدّ مفعولي ظنّ، و**(قادرون)** خبر أن، **(عليها)** جار ومجرور متعلّقان ب"قادرون، **(أتاها)** جواب إذا و**الهاء** مفعول به، **(أمرنا)** فاعل، **(ليلًا)** ظرف متعلّق ب"أتاها"، **(أو)** حرف عطف، **(نهارًا)** معطوف على "ليلًا"، **(فجعلناها)** الفاء عاطفة، **(جعلناها)** فعل وفاعل ومفعول به أول، **(حصيدًا)** مفعول به ثان.[2]

1- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص372.

2- ينظر: محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م4، ص229-230.

زيّن الله الحياة الدنيا بألوان الزينة والزّخرف وجعل فيها من المتاع ما يدفع الإنسان للتمسك بها ويغفل عن كونها دار تكليف لا دار بقاء، فيضرب الله سبحانه هذا المثل ليبيّن حقيقتها وسرعة فنائها، فما سميت بالدنيا إلاّ لدنوها وقرب زوالها.

يقول ابن القيم في تفسير هذه الآية: "شبّه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر، فتروقه بزينتها، وتعجبه، فيميل إليها ويهواها، اغترارا منه بها، حتى إذا ظنّ أنه مالك لها قادر عليها سلبها بغتة أحوج ما كان إليها، فشبهها بالأرض التي ينزل الغيث عليها، فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر، فيغترّ بها، ويظنّ أنه قادر عليها، مالك لها، فيأتيها أمرالله فتدرك نباتها الآفة بغتة، فتصبح كأن لم تكن قبل شيئًا، فيخيب ظنّه، وتصبح يداه منه صفرا، فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء"[1]

فالمثل الذي بين أيدينا يعرض مشهدا تصويريًا منتزعًا من الطبيعة مجسّد كأنه ماثل أمامنا يصف لنا زينة الحياة الدنيا وسرعة زوالها، وقد ضربه سبحانه لمن غرّته ملذّات الدّنيا الفانية، وانشغل بها عن آخرته فلعلّه يتفكّر.

والتشبيه في هذا المثل تشبيه تمثيلي مركب، شبه حال الدنيا في سرعة فنائها وزوالها بعد أن بلغت ذروة الجمال بحال النبات الذي يذهب حطامًا بعد أن نما وازدهر.

"فوجه الشّبه فيه منتزع من عدّة أوصاف لا يمكن تفكيكها وتفريقها لهذا لا تكون آداة التشبيه مسلّطة على مدخولها وحده وهو الماء لكنها مسلّطة على الجملة المؤلّفة من ركني التشبيه ووجه الشّبه".[2]

وإطلاق أخذت الأرض زخرفها على حصول الزينة فيه استعارة مكنية، حيث شبّهت الأرض بالمرأة حين تريد التزيّن، فتحضر فاخر ثيابها من حليّ وألوان، وحذف المشبه به وهو "المرأة"، وترك

1- ابن القيم، التفسير القيم، ص305.

2-مُحَمَّد بكر اسماعيل، الأمثال القرآنية دراسة تحليلية، ص143

لازمًا من لوازمه وهو "أخذ الزّخرف" على سبيل الاستعارة المكنيّة، وذكر "ازينّت" عقب "زخرفها" ترشيح للاستعارة لأن المرأة تأخذ زخرفها للتزيّن.[1]

- وتآزر الصورتان البيانيّتان (التشبيه والاستعارة) مع أسلوب التنكير الذي ورد في عدّة مواضع من الآية الكريمة أدّى الغرض المتمثل في بيان زينة الحياة الدنيا وسرعة زوالها وعدم نفعها للمغترّ بها، فمجيء كلمة "ماءً" نكرة أفاد التّحقير، مما زاد في بيان عدم نفعيتها وسرعة زوالها، وليؤكّد الله على مدى حقارتها وقدرته عليها جاء التعبير عن المدّة المستغرقة في إهلاكها بأسلوب التنكير في "ليلًا" و"نهارًا" والمراد التبعيض والتقليل، أي تقليل مدّة إهلاكها فالله قادر عليها وإفنائها لا يستغرق منه إلاّ بعضًا من اللّيل أو بعضًا من النّهار.
- وللمبالغة في العظة والتّذكير جاء لفظ "قوم" نكرة في قوله تعالى: "كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكّرون"، والمراد العموم وعدم التّحديد، فهي دعوة من الله لجميع الأقوام للتدبّر والتّفكر في آياته، ولا يختص بها قوم دون قوم.

2.6 قال تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا** ﴾ [الكهف:45]

(**واضرب**) **الواو** استئنافية، **اضرب** فعل أمر، (**لهم**) متعلقان بـ"اضرب"، (**مثل**) مفعول به، (**الحياة**) مضاف إليه، (**الدنيا**) نعت لـ"الحياة"، (**كماء**) جار ومجرور متعلقان بمفعول به ثان عامله "اضرب"، (**أنزلناه**) فعل وفاعله ومفعوله والجملة نعت لـ"ماء"، (**من السماء**) جار ومجرور متعلق بـ"أنزلناه"، (**فاختلط به نبات الأرض**) مرّ إعرابها في المثل السابق، (**فأصبح**) عطف على اختلط واسم أصبح مستتر يعود على "نبات الأرض"، (**هشيمًا**) خبر أصبح، وجملة (**تذروه الرياح**) فعل وفاعل ومفعول به والجملة صفة لـ"هشيمًا".[2]

1- ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص143.

2- ينظر: محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، م5، ص615، محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج15، ص196-197.

في هذه الآية من سورة الكهف يضرب الله مثلًا لحقارة الدنيا وفنائها يشبه المثل الذي ضربه لها في سورة يونس، ليكشف عن حقيقة الدّنيا لمن اغتر بها، وحتى يراها الناس في وضعها الصحيح أمر الله رسوله بأن يضرب لهم مثل الحياة الدنيا التي فتنوا بها.

ومعنى الآية: أذكر لهم مثلًا أيها الرسول الكريم لهذه الحياة الدنيا في حسنها ونظارتها ثم في سرعة زوال هذا الحسن وهذه النظارة كمثل النّبات الذي نزل عليه الماء فاخضرّ واستوى ثمّ صار بعد ذلك يابسًا مفتتًا تذهب به الرّيح حيث تشاء.[1]

وهذا مثل ضربه سبحانه للمتشبّثين بالدنيا ليبيّن لهم أنهم مفارقوها ومهما بدت لهم جميلة فهي زائلة، والتشبيه في هذه الآية تشبيه تمثيلي مقلوب:

أما التشبيه التمثيلي: فهو تشبيه الحياة الدنيا وما فيها من زخارف بالنبات الذي اختلط به الماء الهاطل من السماء فربا والتف، ولم تكد العين تستمتع به حتى جفّ وذبل ثمّ أصبح هشيمًا تذروه الرّياح.[2]

أما التشبيه المقلوب: فلأنه كان الظاهر أن يقول: فاختلط بنبات الأرض، لأنه من المعروف دخول الباء على الكثير غير الطارئ، وإن صدق بحسب الوضع على كل من المتداخلين أنه مختلط ومختلَط به إلاّ أنه اختير ما في النظم الكريم للمبالغة في كثرة الماء، حتى كأنه الأصل الكثير.[3]

➢ والمراد من هذا التشبيه بيان حقيقة الحياة الدنيا في سرعة زوالها،والشيء الذي أضفاه التشبيه بدلالة تفاهة الحياة الدنيا زاد عليه مجيء التّنكير في "ماءً" لإفادة التّحقير.

1- ينظر: مُحَمَّد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، م8، ص525-526.

2- ينظر: محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م5، ص619.

3- محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج15، ص198.

ملخص الفصل:

يتناول هذا الفصل موضوعًا قرآنيًا له أهمية بالغة من ميدان علوم القرآن، وهو موضوع الأمثال القرآنية، واختصّ الفصل بدراسة قسم من أقسامها وهو الأمثال المكية الصريحة، وبما أن من خصائص الأمثال تنوع موضوعاتها، حاولنا في هذا الفصل بيان السّياقات التي تطرّقت لها الأمثال المكية، وأهمّ المسائل التي تضمّنتها، وتمثّلت هذه السّياقات في: الإيمان والكفر، التوحيد والشّرك، الحق والباطل، والضلال بعد الهدى، وبيان حقيقة الدنيا الفانية، وركّزنا في دراستها على وصف المستوى التّركيبي، ثم قمنا بإدراج آراء علماء التفسير في بيان معناها، كما ركّزنا على قضية التعريف والتنكير التي وردت في هذه الأمثال بأشكال عديدة، وبيّنا دلالاتها ومقاصدها التي تعدّدت وتباينت بحسب ما يريد المتكلّم ايصاله، بين تحقير وتعظيم، تخصيص وشيوع، تقليل تكثير، وغيرها.

الفصل الثالث: بلاغة التعريف والتنكير في الأمثال المدنية:

1. سياق الإيمان والكفر.
2. حال المؤمنين وأعمالهم.
3. حال الكافرين وأعمالهم.
4. حال المنافقين وأعمالهم.
5. مثل نور الله وهدايته.
6. بيان حقيقة الدنيا الفانية

بناء على الطبيعة الصرفية البلاغية لبحثنا و نظرا لتعدد الموضوعات التي تضمنتها الأمثال القرآنية فقد عمدنا في هذه الدراسة التطبيقية إلى بيان السياقات العامة التي تطرقت لها الأمثال، إذ اشتملت على أجلّ المسائل و أعظم القضايا و تضمنت مقاصد كبرى تهمّ الإنسان في دنياه و آخرته، ثم وقفنا عند وصف المستوى التركيبي، فبه نميّز الدلات و الوظائف و نستنبط العلاقات بين أركان الجملة، ثم حاولنا الربط بين المبنى و المعنى في الأمثال القرآنية مع تركيزنا على قضية التعريف و التنكير التي تعددت أشكالها و أبعادها و تباينت دلالاتها و مقاصدها.

1. سياق الإيمان والكفر:

1.1 قال تعالى : ﴿ إن اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[البقرة: 26]

(**إن**)حرف مشبه بالفعل، (**الله**) اسمها المنصوب، (**لا**) نافية، (**يستحي**) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر فيه جوازا تقديره هو، (**أن يضرب**) المصدر المؤول من أن و الفعل في محل نصب يستحي إذا عُدّي بنفسه أو في محل جر بحرف الجر إذا عدي بحرف الجر أو النصب بإقضاء الفعل إليه بعد حذف حرف الجر على رأي سيبويه، (**مثلا**) مفعول به ليضرب، (**ما**) إبهامية، (**بعوضة**) بدل من مثلا، (**فما**) الفاء عاطفة و ما اسم موصول في محل نصب معطوف على بعوضة،(**فوقها**) ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له من الإعراب.[1]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:"لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون مابال العنكبوت و الذباب يذكران ؟ فأنزل الله:" إن اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً" [البقرة: 26]".[2]كما أن البعوضة قد أوجدها على الغاية القصوى من الإحكام وحسن التأليفوأظهر فيها مع

1-ينظر :محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم و بيانه، ج1، ص67_68 .

2- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص112.

صغر حجمها من بدائع الحكمة كمثل ما أظهره في الفيل الذي هو في غاية الكبر وعظم الخلقة فضرب الحق المثل بالصغير والكبير.[1]

إن العبرة من الأمثال ليست في الشكل ولا النوع ولا الحجم، إنما الحكمة فيها هي الإبانة والوعظ و تقريب المفاهيم وتمييز المؤمن من الفاسق، فالمؤمن المخلص يعلم علما أكيدا لا مراء فيه ولا شك أنه الحق من عند الله، أما الجدل و النقاش لايكون إلا من المشركين و المنافقين الفاسقين.

و قد ردّ الحق سبحانه و تعالى على أهل الباطل من الكفار و المنافقين بأسلوب بديع يحمل ألوانا من البلاغة و البيان نذكر منها: " قال تعالى:(إن اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَابَعُوضَةً...)[البقرة: 26]، مجاز مرسل من باب إطلاق الملزوم و إرادة اللازم بمعنى أنه سبحانه عبر بالحياء عن الترك لأن الترك من ثمرات الحياء ومن استحيا من فعل شيء تركه".[2]كما ذهب بعض العلماء إلى وجود تمثيل في هذا المثل قال محمود صافي في جدوله: "التمثيل في هذه الآية الكريمة مثلٌ ضُرب للدنيا وأهلها فإن البعوضة تحيا ما جاعت و إذا شبعت ماتت، كذلك أهل الدنيا إذا امتلؤ منها هلكوا، و هكذا الإشارة إلى حسن التمثيل في الآية".[3]

والملاحظ أن اجتهادات علماءنا المفسرين في تأويل كلام الله سبحانه تورث اختلافات تكمل بعضها البعض وتزيد المعنى وضوحا وبيانا وبلاغة تكشف عن أسرار كلام المولى عزَوجل.

وجاء في هذا المثل أيضا قوله تعالى: "لَا يَسْتَحْيِ" ولم يقل "لا يخجل" وذلك أنالحياء والخجل متغايران وإن كانا متلازمين يقول شهاب الدين الألوسي البغدادي "الحياء انقباض النفسعن القبائح وهو مركب من جبن وعفة، وليس هو الخجل بل ذلك حيرة النفس لفرط الحياء فهما متغايران وإن تلازما،

1-ينظر : أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج1، ص 261.

1- ينظر: مُحَمَّد حسن سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن، ص20.

3- محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم و صرف بيانه، ج1، ص 87.

وقال بعضهم: الخجل لا يكون إلابعد صدور أمر زائدلا يريده القائم به بخلاف الحياء فإنه قد يكون مما لم يقع فيترك لأجله".[1]

الملاحظ أن في هذه الآية إثبات لصفة الحياء لله عزوجل على ما يليق بجلاله وقدره، كما أن وُرود كلمة "لَا يَسْتَحْيِي" في سياق الآية أقرب إلى المعنى من كلمة "لا يخجل".

وقد ذكر بعض أهل العلم سبب ذكر" بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا" فقيل فيها: "وذكر البعوضة فما فوقها من بين إفراد المثل إنما بطريق التمثيل دون التخصيص والتعيين فلا يخل بالشيوع بل يقره ويؤكده بطريق الأولوية، والمراد بالفوقية إما الزيادة في المعنى الذي أُريدَ بالتمثيل أعني الصغر والحقارة وإما الزياطدة في الحجم والجثة".[2]

نستنتج من هذا القول أن لفظة "فوق" في اللغة في قوله "و المراد بالفوقية" جاءت تحمل معنيين في هذه الآية، المعنى الأول هو الزيادة في الحجم أي "فما فوقها" بمعنى أكبر منها،من حشرات كالذباب و العنكبوت وغيرها، و قد تتضمن معنى الوصف لتكون بمعنى الذم والتحقير فتقول "فما فوقها" بمعنى "أحقر منها"، مثل قولك: هو حقير و فوق الحقير.

- نلاحظ في الآية توالي النكرات في قوله:" مثلا ما بعوضة فما فوقها"، وفي هذا تناسب واضح فقد وردت الألفاظ مشابهة لمعنى المتحدث عنه فلم يأت السياق مثلا: " أن يضرب المثل من البعوضة فما فوقها"، فهذا التركيب قد يكون صحيح المعنى ولكنه لا يشتمل على دقة تركيب الآية التي أعطت المعنى المطلوب بحذافيره؛ لأنها في إيرادها تلك الألفاظ المنكرة متوالية كأنها تشعرنا بهذه الحالة العجيبة من الإبهام الذي يحاط به هؤلاء المنكرون لتزيد في ظلالهم ظلالا،وتضيق على جحودهم بحقائق الأمور وفحواها جحودا.[3]

1- الألوسي، روح المعاني، م1، ص208.

2-أبو سعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج1، ص73.

3-سميرة عدلي محمد رزق، وجوه البيان في إعراب القرآن، ص63.

➢ وللتعريف نصيب من هذه الآية من كلمة" الحق"؛ فالألف واللام فيها للعهد الذهني، جاء في إرشاد العقل السليم: " واللام للدلالة على أنه مشهود له بالحقيقة.[1]فالمعنى أن الحق معهود معروف عندهم أنه من عند الله لا غير.

➢ وحال الفئتين يظهر في تنكير كلمة "كثيرا"، والتي كررت لإبراز التناقض بين مصير فئة الظلال والعناد، ومصير فئة الهداية والرشاد، جاء في إتقان: إذا ذكر الاسم مرتين، فله أربعة أقوال...وإن كانا نكرتين فالثاني غير الأول غالبا؛ وإلا لكان المناسب هو التعريف بناءً على كونه معهودا سابقا.[2]والمعنى الناتج من تكرار النكرتين هو إبراز التناقض بين الفئتين، فالأول معنى يفيد التكثير من فئة الضالين الحائرين، أما الثاني فتكثير لفئة المهتدين الناجين.

2.1 قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴿10﴾وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابن لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم:10،11]

(**ضرب الله**) فعل و فاعل، (**مثلا**) مفعول به ثان مقدم، (**اللام و مجرورها**) متعلقة بمحذوف صفة مثلا، (**امرأة نوح**) مفعول به أول، (**امرأة لوط**) عطف على امرأة نوح، (**كانتا**) فعل ماض ناقص و التاء للتأنيث،تحت (**عبدين**) ظرف متعلق بمحذوف خبر كان، (**من عبادنا**) نعت لعبدين، (**فخانتاهما**) عطف وهو فعل ماض وفاعل مفعول، (**فاء**) عاطفة، (**لم**) حرف نفي وقلب وجزم، (**يغنيا**) فعل مضارع مجزوم وعلامة حذف النون والألف فاعل، (**عنهما**) متعلقان بيغنيا، (**من الله**) حال، (**شيئا**) مفعول مطلق أو مفعول به، (**و قيل**) عطف على ما تقدم وهو فاعل ماض مبني للمجهول وجملة "**أدخلا**": مقول القول، (**و النار**) مفعول به، (**مع الداخلين**) ظرف متعلق بـ

1-أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1999م، ج1، ص100.

2-ينظر : جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، د ط، دت، م 2، ص 297.

"ادخلا" والفعل الماضي قيل مضارع في المعني أي يقال لهما.[1] **المثل الثاني**:"وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون" معطوف على ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة نوح ويعرب إعرابهوعلامة جر "فرعون" الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف، (**إذ قالت ربي**)**إذ** ظرف زمان، **قالت** جملة فعلية في محل جر بالإضافة وهي فعل ماض مبني على الفتح، **ربي** منادى بأداة النداء محذوفة للتعظيم. (**ابن لي عندك بيتا**) **ابن** ملة فعلية في محل نصب مفعول به – مقول القول– وهي فعل تضرع و دعاء بصيغة الطلب، **لي** جار و مجرور متعلق بابن، **عندك** ظرف مكان منصوب متعلق بحال محذوفة من "بيتا"، **بيتا** مفعول به منصوب،(**في الجنة**) جار و مجرور متعلق بابن، و(**نجني**) معطوفة بالواو على ابني، (**منفرعون**)جار و مجرور متعلق بـ "نجني"، (**وعمله**) معطوف بالواو على "فرعون" ويعرب مثله.[2]

هذان مثلان ضربهما الله تعالى تمثيلا بالنموذج، فالأول فيه نموذج الذم والتحذير ممثلا في امرأة نوح ولوط، أما الثاني ففيه المدح والثناء والدعوة إلى الاحتذاء ممثلا بقصة امرأة فرعون، قال فخر الدين الرازي: فالأول بيان حالهم بطريق التمثيل أنهم يعاقبون على كفرهم معاقبة مثلهم من غير محاباة فلا ينفعهم مع عداوتهم ما كانوا فيه من القرابة بينهم وبين نبيهم فجعل الأقارب من جملة الأجانب بل أبعد منهم. ثم بين حال المسلمين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم كحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة ظالم من أعداء الله.[3]

وقد أضاف السيد قطب في ظلال القرآن فائدة مفادها: " أن المأثور في تفسير امرأة نوح امرأة لوط؛ أنها كانت في الدعوة لا خيانة في الفاحشة، والمأثور كذلك عن امرأة فرعون أنها كانت في قصره ولعلها كانت آسيوية من بقايا المؤمنين بدين سماوي قبل موسى ".[4]

1- ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن و بيانه، م 10، ص 142.

2-ينظر: بهجت عبد الواحد، بلاغة القرآن الكريم، ج 10، ص 214_215.

3- ينظر:فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج 30، ص 49.

4- سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، ط 32، 1423هـ، 2003م، القاهرة، مصر، ج28، ص3621.

فالشاهد من هذا المثل أن الدين هو الفيصل الوحيد لنجاة العبد يوم القيامة فلا تنفعه صلة قرابة وإن كانت من الأنبياء والرسل، ولا يضره كفر أهل طالما كان موحدا لله مخلصا له وحده.

بعدما كان التمثيل في أمثال سبقت معنيا بذكر الظواهر الطبيعية أو مركزا على أصناف الحيوانات والحشرات، جاء هذا التشبيه مغايرا ليجعل من النموذج الإنساني مثلا لإيراد المعنى المراد، جاء في الجدول: حيث مثل الله عزوجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير محاباة فلا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر بحال امرأة نوح وامرأة لوط، لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما من الزواج إغناء ما من عذاب الله.[1]

و"التحتية" هنا مجاز بمعنى الصيانة والعصمة، وانتصب"شيئا" على المفعولية المطلقة، "ليغنيا" لأن المعنى شيئا من الغنى، وزيادة مع"الداخلين" لإفادة مساواتهما في العذاب مع غيرهما من الكفرة الخونة.[2]

ولما حصل التمثيل بنموذجين للذين كفروا مثل كذلك للذين آمنوا لتحصل المقابلة ويتضح المعنى المراد من الترغيب والترهيب.

- التعريف بالموصول في قوله: "الذين كفروا" غرضه الذم، وإضافة المرأتين لنوح ولوط تعريف لإضافة يفيد بيان صلة القرابة فهما زوجتا النبيين لوط ونوح، وهذه الإضافة نزيد من ذم وتحقير المرأتين؛ إذ لم يغن عنهما الانتماء إلى نسب النبوة شيئا.والألف واللام في كلمة "النار" للعهد الذهني، فالنار معروفة معهودة عندهما لكنهما إستحبتا الكفر عن الهداية.

1-ينظر : محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، ج 19، ص 11.

2-ينظر : الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج 30، ص 375.

➢ التعريف بالموصول في قوله:"الذين آمنوا" غرضه المدح والثناء، والإضافة في امرأة فرعون لبيان صلة القرابة، وهذه الإضافة تزيدها شرفا ومكانة عند الله إذ لم يمنعها كفر فرعون وطغيانه عن توحيد الله وعبادته.

2. حال المؤمنين و أعمالهم:

1.2 قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَالله غنماً وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:261]

(مثل) مبتدأ، و**(كمثل حبة) خبره،** وإنما قدر المحذوف،لأن الذين ينفقون لايشبّهون بالحبة بل إنفاقهم أو نفقتهم، **(أنبتت سبع سنابل)** الجملة في موضع جر مضاف لحبة، **(في كل سنبلة مئة حبة)** ابتداء وخبر في موضع جر صفة لسنابل، ويجوز أن يرفع مئة حبة بالجار، لأنه قد اعتمد لما وقع صفة. ويجوز أن تكون الجملة صفة لسبع، كقولك رأيت سبع رجال أحرار وأحرارا.[1]

تعرض لنا الآية الكريمة موضوع الإنفاق في سبيل الله وضرب الله لنا مثلا ليحصل الترغيب، قال ابن عاشور:"وقد شبه حال إعطاء النفقة ومصادقتها موقعهاوما أعطي من الثواب لهم بحال حبة أنبتت سبع سنبل، وحذف ذلك كله إيجازا لظهور أن الحبة لا تنبت ذلك إلا كذلك، فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس".[2]

وقوله:(والله يضاعف لمن يشاء) : "ليس فيه بيانكمية تلك المضاعفة، ولا بيان من يشرفه الله بهذه المضاعفة، بل يجب أن يجوز أنه تعالى يضاعف لكل المنفقين، ويجوز أن يضاعف لبعضهم من حيث يكون إنفاقه أدخل في الإخلاص، أو لأنه تعالى بفضله وإحسانه يجعل طاعته مقرونة بمزيد القبول والثواب".[3]

1- شاكر عواد السامرائي، البيان القرآني وفنون البلاغة من سورة البقرة، دار البسملة، بغداد، العراق، ط 1، 1443 هـ، 2022م، ص 238.
2- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج 3، ص 41.
3- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج 7، ص 49.

الملاحظ من سياق الآية أن الحق سبحانه وتعالى قد نقل إلينا المعنى الذهني المجرد وهو البذل والعطاء ذلك الشيء العزيز على النفس فعله إلى صورة محسوسة وواقع مشاهد وهي صورة الحبة التي تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة حثا وترغيبا لنا على الإنفاق والعطاء.

وقد عرضت الآية هذا المعنى بطريقة تصويرية بلاغية جميلة، تشد السامع إليها على للمبادرة والإقبال بدلا من العزوف والإدبار، وأول ما نلحظه هو ورود المثل على هيئة تشبيه تمثيلي: " فالمشبه هو حال من ينفق قليلا في سبيل الله ثم يلقى جزاء جزيلا والمشبه به هو بادر الحبة التي تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة، أما وجه الشبه فهو: صورة من يعمل قليلا فيجني من ثمار عمله كثيرا ".[1]

والملاحظة الثانية وردت في قوله تعالى "كمثل حبة" فيها إيجاز بالحذف، قال الزمخشري:لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم، كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر الحبة. "أنبتت سبع سنابل " أي أخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحد منها سنبلة.[2]

والإيجاز بالحذف كثير في آي الذكر الحكيم، إذ يكون في الكثير من المواضع أبلغ من الذكر في إيصال المعنى.

- من أسرار البيان في الآية هو تنكير كلمة "حبة"، المقابلة للإنفاق وتفيد العموم إذ تقع عليها احتمالات متنوعة؛ فالحب أنواع منه الرخيص والباهظ والنادر، ومن المؤكد أنها أعلاها درجة.[3] وقد يكون التنكير فيها لغاية التعظيم؛ إذ أن مجرد حبة واحدة تنبت لك سبع سنابل في كل واحدة منها مئة حبة، وكذلك هي نفقة المؤمن المخلص.
- أما قوله " واسع عليم"؛ فهي لإرادة التعميم بالتنكير، فهو سبحانه عليم بكل شيء.

1- علي الجارم مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط 1، 1439 هـ، 2018م، ص 41.
2-ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 149.
3-ينظر: عزيز سليم، أثر التعريف و التنكير في دلالة المجاز القرآني، ج 2، ص5.

2.2 قال تعالى:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[البقرة: 265]

(ومثل) الواو حرف عطف، **(مثل)** مبتدأ مرفوع، **(الذين)** اسم موصول في محل جر مضاف إليه. **(ينفقون)** فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، **(أموالهم)** أموال: مفعول به منصوب. **(هم)** ضمير متصل في محل جر مضاف إليه، **(ابتغاء)** مفعول لأجله منصوب، **(مرضات)** مضاف إليه مجرور، **(الله)** لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور.**(كمثل)** الكاف: حرف جر. **(مثل)** اسم مجرور، **(جنة)** مضاف إليه مجرور وشبه الجملة في محل رفع خبر مثل، **(بربوة) (الباء)** حرف جر، (الربوة) اسم مجرور وشبه الجملة في محل جر نعت. **(أصابها)** فعل ماض مبني على الفتح، والهاء في محل نصب مفعول به. (وابل) فاعل مرفوع، **(فآتت) الفاء** حرف عطف، **(آتت)** فعل ماض مبني على الفتح. **(التاء)** للتأنيث، و الفاعل مستتر تقديره هو، **(أكلها)** مفعول به مصوبو **(الهاء)** في محل جر ضاف إليه. **(ضعفين)** حال منصوب بالياء.[1]

ينتقل بنا سياق الآيات من الحديث عن الصدقة المتبوعة بالمن و الأذى على معنى مضاد معاكس للمعنى الأول وهو؛ مشهد المنفق في سبيل الله المخلص له، و كيف أنه سبحانه مثل له بمعان تناسب مقتضى الآية و مقامها، قال ابن كثير: وقوله: " كمثل جنة بربوة" أي كمثل بستان بربوة، وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض، وقوله: "أصابها وابل" وهو المطر الشديد، فأتت أكلها" أي ثمارها، "فإن لم يصبها وابل فطل" قال الضحاك: وهو الرُذاذ وهو اللين من المطر.[2]

وقال ابن عاشور: وقد عطف مثل الذين ينفقون اموالهم في مرضاة الله على مثل الذي ينفق ماله رياء الناس لزيادة بيان مابين المرتبتين من البَوْن وتأكيدا للثناء على المنفقين بإخلاص.[3] فإذا كان

1- ينظر: مُحَمَّد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، دار الصحوة، ط 1، 1431 هـ، 2010م، ص 102.

2- ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 1، ص 566.

3- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 50.

إنفاق العبد لأجل عبودية الحق لا لأجل غرض النفس وطلب الحض، فهناك اطمئن قلبه، واستقرت نفسه، ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه، و لهذا قال أولا في هذا الإنفاق أنه لطلب مرضاة الله، ثم أتبع ذلك بقوله "وتبثيتا من أنفسهم" أنه ثبت في العلوم العقلية، أن تكرير الفعال سبب لحصول الملَكَات.[1]

فالمعنى العام؛ أن مثل المؤمنين الذين يبذلون أموالهم طلبا لرضوان الله بصدق وإخلاص، كمثل بستان على مكان مرتفع أصابه مطر غزير فأنتج ثمرا مضاعفا، وإن أصابه مطر خفيف اكتفى به لطيب أرضه، و كذلك الحال مع نفقات المخلصين حيث يقبلها الله ويضاعف أجرها.

و التشبيه واقع في هذه الآية الكريمة، كما في التي قبلها مع اختلاف المعنى المراد: "فقد شبه الذين ينفقون أموالهم خالصة من الرياء في سبيل مرضاة الله بالبستان الكائن بمكان مرتفع وأصابه مطر شديد فأثمر مثل ما كان يثمر في سائر الأوقات بسبب ما أصابه من الوابل".[2]

فالفارق واضح جلي لأن الصدقة الخالصة لله تشبه بالجنة التي فوق ربوة لا بالصفوان الذي فوقه تراب، وإن كان الوابل مشتركا بين الحالتين إلا أنه يمحي و يمحق في الأولى، و يزكي وينمي في الثانية.

- التعريف في قوله: "الذين ينفقون" بالاسم الموصول "الذين" وغرضه البلاغي المدح، أما التنكير في كلمة "جنة" فهو لبيان الجنس، أما كلمة "وابل" فهو تنكير يفيد بيان كثرة و غزارة هذا المطر، و المعنى يختلف في "وابل" الثانية فهي بمعنى المطر الخفيف اللين قال صاحب الإتقان :"وإن كانا نكرتين فالثاني غير الأول غالبا، و إلا لكان المناسب هو التعريف، بناء على كونه معهودا سابقا".[3]

1-فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، ج 7، ص 60.

2- محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، ج2، ص50

3-جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 297.

3.2 قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29]

(**ذلك مثلهم في التوراة**) **ذلك** مبتدأ، والإشارة إلى الوصف الأخف وهو كونهم أشداد ورحماء، (**مثلهم**) خبره، (**فيالتوراة**) حال ومثلهم في الإنجيل... على سوقه، (**مثلهم**) مبتدأ، (**في الإنجيل**) حال، (**كزرع**) خبر مثلهم، وجملة "**أخرج شطأه**" صفة لزرع، (**فآزره**) عطف على أخرج و كذلك فاستغلظ، وقوله (**فاستوى على سوقه**) متعلقان بـ "استوى" أو بمحذوف حال أي كائنا على سوقه قائما عليها، (**الزراع**) مفعول يعجب، (**ليغيظ**) **اللام** للتعليل والفعل مضارع منصوب بـ "أن" المضمرة بعد لام التعليل، (**بهم**) جار ومجرور متعلق بـ "يغيظ"،(**الكفار**) مفعول به منصوب.[1]

الآية عبارة عن مدح لرسول الله ﷺ مع صحابته الكرام المجاهدين معه لرفع راية الإسلام والقضاء على الكفر، يقول السيد قطب: إرادة التكريم واضحة و هو يسجل لهم في اللفظة الأولى أنهم: "أشداء على الكفار رحماء بينهم"، أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوانهم و ذو قرابتهم، و لكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعا،رحماء بينهم، وهم فقط إخوة دين، فهي الشدة لله والرحمة لله، وإرادة التكريم واضحة وهو يختار من هيئاتهم، هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة والتعبير يوحي بدوام الهيئة، ذلك هو مثلهم في التوراة أما مثلهم في الإنجيل فهم"كزرع أخرج شطاه" وهو زرع نام قوي، يخرج فرخه من قوته وخصوبته، ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده، "فاستغلظ" الزرع وضخمت ساقه وامتلأت، "فاستوى على سوقه" لا معوجا ولا محنيا ولكن مستقيما قويا سويا".[2]

1- ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم و بيانه، م 9، ص 254_255.

2- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج26، ص3332.

فالمعنى العام هو أن مُحَمَّدا وصحابته أشداء على الكفار رحماء بينهم، سمات الهدى والعبادة واضحة في وجوههم، فمثلهم في تعاونهم كزرع أخرج صغاره فقوي بهم واستوى على ساقه يعجب الزراع قوته وكماله ليغيظ بهم الله الكفار.

ما يظهر جليا واضحا من المثل هو التشبيه التمثيلي الذي يحويه: "فقد شبه مُحَمَّد وصحابته بالزرع الذي يستمر في نمائه حتى يستوي على سوقه، يعجب الزراع فيغيظ الكافر الحاسر، فوجه الشبه مركب من التدرج في النمو والتحول من القلة إلى الكثرة وإلى الاستحكام و القوة".[1]

والمعنى من هذا التشبيه؛ هو وصف حال انتقال المسلمين من الضعف والقلة إلى الكثرة والقوة، كمثل الزرع الذي يزداد قوة بصغاره فيستوي على ساقه ليغيظ الكفار أعداء الإسلام.

وصورة المدح والثناء لمحمد وصحابته الكرام تحوي من ألوان البلاغة والبديع ما يلي: فقوله: "والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم" الذين معه كناية عن المسلمين، ومعه تحمل معنى المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد وقابل بين أشداء على الكفار وبين رحماء وبين المسلمين إذ أن الشدة على الكفار والكافرين تخالف الرحمة مع الإسلام والمسلمين.[2] و ذكر ابن عاشور حكمة بليغة في هذا القول مفادها: أن الجمع بين هاتين الخِلَتين المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم بتصرف الحكمة والرشد.[3] أما كلمة أشداء في سياق المثل: فتحمل إلى الذهن معاني الغلظة والثبات والمجاهدة و توحي بأبعاد الصبر واليقظة والحذر فتحرك النفوس وتهز الضمائر إلى التفاني في ذات الله.[4]

فاجتماع الخصلتين في المسلم ليس تناقضا فيه بل هو في أصله رحيم عفو محب للخير، لكنه عزيز النفس محب لربه، يرحم لأجله ويشد ويعادي لأجله.

1-محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرف وبيانه، ج 25، ص 272.

2- ينظر: عبد القادر حسين، التفسير البلاغي الميسر، دار الغريب، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ج 26، ص 118.

3- ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج 30، ص 205.

4- ينظر: مُحَمَّد حسين علي الصغير، الصورة الفنية للمثل القرآني، دار الرشيد، د ط، دت ، ص 256.

و قوله: "تراهم ركعا سجدا" أي في صلاة دائمة، والسجود جزء من الصلاة فعبر بالجزء ويريد الكل على سبيل المجاز.[1] والخطاب في تراهم لغير معين بل لكل من تأتي رؤيته إياهم، وإيثار صيغة المضارع للدلالة على تكرار ذلك.[2]

فكيف لا تكون هذه هيئتهم الدائمة، وهم صحابة رسول الله ﷺ وقد تربوا على يديه فحَّبب لهم الإيمان ورسّخ فيهم قيم الأخوة والمحاباة.

ثم بدأ بالتشبيه فقال: "ذلك مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه" و هذا يتضمن نماء الإيمان في قلوبهم و بأنهم يدعون الناس إلى الدين حتى يكثر المؤمنون كما تنبت الحبة مائة سنبلة. "أخرج شطأه" استعارة إخراج إلى تفرع الفراخ من الحبة لمشابهة التفرع.[3]

فكذلك هم المسلمون في تكاثرهم و تآزرهم بمثابة الزرع الذي يشتد بصغاره فيقوى بهم ويقف مستقيما صامدا أمام الرياح العاصفة.

- توالي المعارف في قوله:"مُحَمَّد رسول الله والذين معه"، أولا في اسم العلم "مُحَمَّد"، وهو مقصود لتعيين المسمى وبيانه، والتعريف بالإضافة في "رسول الله" لبيان مكانته عند المولى عزوجل فهو خاتم الأنبياء و سيد المرسلين، و أخيرا بالموصول في "الذين معه" فهذا التعريف أفاد التعيين والأفضلية لارتباطهم بصحبة سيدنا مُحَمَّد ﷺ.
- أما التنكير في قوله: "ركعا سجدا" دال على تكرار العبادة ودوامها فهم بين خشوع وخضوع وخوف رجاء. و "رضوانا" جاءت نكرة للتكثير.
- واسم الإشارة "ذلك" أشير به إلى المذكور من صفات الذين مع مُحَمَّد ﷺ وجاءت كلمة "زرع" الأولى لبيان الجنس والألف واللام في كلمة " الزراع" تفيد العهد الذكري؛ لتقد ذكر الزرع قبلها نكرة.

1-ينظر: عبد القادر حسين، التفسير البلاغي الميسر، ج 26، ص 118.

2- ينظر:الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 30، ص205 .

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 208.

3 .حال الكافرين و أعمالهم:

1.3 .قال تعالى﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[البقرة: 171]

(و مثل الذين كفروا) مثل مبتدأ، **(و كمثل الذي ينعق)** خبره، و في الكلام حذف مضاف تقديره داعي الذين كفروا :أي مثل داعيهم إلى الهدى؛ **(كمثل الناعق لغنم)** وقيل التقدير: مثل الذين كفروا في دعائك إياهم، وقيل التقدير: مثل الكافرين في دعائهم الأصنام،كمثل الناعق بالغنم، **(إلا دعاء)** منصوب بـ "يسمع" وإلا قد فرغ قبلها العامل من المفعول وقيل "إلا" زائدة؛ لأن المعنى لايسمع دعاء، وهو ضعيف والمعنى بمالا يسمع إلا صوتا.

لقد رسم لنا الحق تبارك وتعالى صورة الكافر الذي هو كالبهيمة السارحة التي لاتعي شيئا مما يقال لها، قال البغوي: النعيق صوت الراعي بالغنم، أي مثل واعظ الكفار ورادعهم كمثل الراعي ينعق بالغنم التي تسمع الصوت ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها.[1]و قيل أيضا: مثلهم في إتباعهم آباهم و تقليدهم لهم كمثل البهائم التي لاتسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته، كذلك هؤلاء يتبعونهم على ظهر حالهم ولا يفقهون أهُم على حق أم باطل.[2] قال ابن عاشور عن هذا المثل:"وهذا أبدع التمثيل وقد أوجزته الآية إيجازا بديعا".[3]

فالمقصود هو تشبيه حال الكفار في إعراضهم عن الحق بحال البهائم التي تسمع من صاحبها أصواتا لا تفهم منها شيئا.

1-ينظر: البغوي، تفسير البغوي معالم التنزيل، تح: مُحَمَّد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، السعودية، 1409هـ، م 1، ص 121

2- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص107.

3- الطاهر بن عاشور، تفسير التحريروالتنوير، ج 1، ص111.

"التشبيه التمثيلي، فقد شبه من يدعو الكافرين إلى الإيمان رغم حاجتهم و مكابرتهم بمن ينعق بالبهائم التي لا تسمع إلا التصويت بها والزجر لها، فهو تشبيه صورة بصورة أو تشبيه متعدد بمتعدد".[1]

ووجه الشبه حاصل بين البهائم والكفار هو عدم الانتفاع بما يسمعونه فالبهيمة تسمع أصواتا لا تعي معناها، و الكافر يسمع النداء والوعظ والدعوة ولا يبالي بها بل يغفل قلبه عنها.

والملاحظة الثانية أنه سبحانه قد عبر عن الفكرة تعبيرا موجزا، يتجلى هذا الإيجاز بالحذف والاختصار، قال المبرد: "ومن المختصر في القرآن قوله تعالى: "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع"، معناه: أن الذين كفروا يتشبّهون بالمنعوق به"، وهي الشاء، و أنتم كمن ينعق بها، فتأويل الكلام: مثل الذين كفروا ومثلكم، أو: مثلكم ومثل الذين كفروا، كمثل الناعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، فاختصر وحذف".[2]

والحذف الثاني قوله (صم، بكم، عمى):"فنلاحظ في هذا التعبير إيجاز حذف في المفرد إذ حذف المسند إليه هنا والتقدير هم صم... وسبب الحذف هو أن المسند المذكور (صم، بكم، عمى) نعت مقطوع للرفع في حالة الذم".[3]ومما قيل عن سبب هذا الحذف:" أنه صيانة اللسان عن ذكرهم أو حتى ذكر الضمير العائد عليهم، تحقيرا لهم واكتفاء بما سبق من الإشارة إليهم في مطلع الآية.[4]

نستنتج مما سبق أن هذه الآية عبارة عن مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للذين كفروا حيث شبههم بالبهائم التي لا تعقل نداء الراعي بأسلوب موجز بديع وحذف زاد المعنى بيانا وبلاغة.

1- محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص240

2- المبرد، ما اتفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد، تح : أحمد محمد سليمان أبو رعد، سلسلة الرسائل القرآنية، ط 1، 1409هـ، 1988م، ص 79.

3- سميرة عدلي محمد رزق، وجوه البيان في أمثال القرآن، ص73.

4- هند بنت عبد العزيز بن عبد الله السويكت، الأمثال القرآنية دراسة بلاغية تحليلية، مذكرة ماجيستر، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1430_1431هـ.

- تزيد من بلاغة الآية دلالات التعريف والتنكير، التي تشترك لهدف واحد وهو ذم الكافر وتحقيره، بداية بالاسم الموصول في قوله" الذين كفروا" ثم "الذي ينعق"، والتنكير "في دعاءً و نداءً"؛ فهم كالبهائم التي لا تفهم من الكلام إلا أصواتا لا معنى لها.
- والأوصاف الثلاثة: "صمٌ، بكمٌ، عميٌ" نكرات تفيد الذم والتحقير؛ فصمٌ دلالة على عدم الإصغاء للحق، وبكم على كتمان الحق، و عميٌ عن عدم رؤية المعجزات.

2.1 قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117]

(**مثل**) مبتدأ مرفوع، (**ما**) اسم موصول في محل جر بالإضافة، (**ينفقون**) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير فاعل، (**في**) حرف جر، (**هذه**) اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر نفي، (**الحياة**) بدل لاسم إشارة، (**الدنيا**) صفة للحياة مجرورة بالألف للتعذر، (**كمثل**) جار ومجرور متعلق بخبر محذوف للمبتدأ "مثل" الأولى، (**الكاف**) للتشبيه، (**ريح**) مضاف إليه مجرور، (**فيها**) جارو مجرور متعلق بخبر مقدم، (**صر**) أي برد، مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة وجملة (**فيها صر**) في محل جر صفة للريح، (**أصابت**) فعل ماض والتاء للتأنيث والفاعل ضمير مستتر تقديره هي، (**حرث**) مفعول به، (**قوم**) مضاف إليه، (**ظلموا**) فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة والواو في محل رفع فاعل والألف فارقة، (**أنفسهم**) مفعول به منصوب بالفتحة وهم ضمير الغائبين في محل جر بالإضافة، (**فأهلكته**) **الفاء** عاطفة و (**أهلكت**) فعل ماض والتاء للتأنيث والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره هي.[1]

سبقت الآية بقوله تعالى: "إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا" والمعنى هو عدم حصول انتفاع الكفار بأموالهم، فإن قيل ربما أنفقوا أموالهم، في وجوه الخيرات فيحصل

1-ينظر: بهجت عبد الواحد صالح ، الإعراب المفصل لكتاب المرتل، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 1، 1413 هـ، 1993م، م 2، ص 131، 132.

النفع لهم بها، فجاء الردّ واضحا من الله تعالى بهذه الآية داحضا لتلك الشبهة، فقال ابن عاشور: استئناف بياني لأن قوله" لن تغني عنهم أموالهم...." يثير سؤال سائل عن إنفاقهم الأموال في الخير من إغاثة الملهوف وإعطاء الديات في الصلح عن القتلى.[1] ومعنى الآية: مثل نفقة الكافرين في بطلانها وذهابها و عدم منفعتها كمثل زرع أصابه ريح بارد أو نار فأحرقته وأهلكته فلم ينتفع أصحابه بشيء بعد ما كانوا يرجون فائدته ونفعه.[2] والظاهر أن كلمة "صّر" اختلف فيها من قبل المفسرين قال الماوردي: "في الصر تأويلان: أحدهما البرد الشديد والثاني أنها صوت لهب النار التي تكون في الريح ".[3]

نستنتج من هذا المثل القرآني أن الإيمان هو أصل قبول الأعمال، فالكافر لن تقبل نفقته ولو كانت في الخير لتكون بمثابة حقل أصابه برد شديد، كذلك هي أعمال الكفرة المشركين.

الملمح الأول هو الانتقال البديع من المعنى العقلي المجرد إلى المحسوس المجسد وهي صورة الحرث التي أهلكته الريح الباردة، وهذه الصورة عبارة عن تشبيه تمثيلي حيث شبه ما كانوا ينفقون في المفاخرة وكسب الثناء بالزرع الذي أصابته الريح العاصفة الباردة فدمرته وجعلته حطاما.[4] و قد شرح الزمخشري هذه الصورة البيانية فقال: "الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر، والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح: قلت هو من التشبيه المركب الذي مرّ في تفسير قوله "كمثل الذي استوقد نارا" ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك الريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث.[5]

1- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص 61.
2-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 271، 272.
3- الماوردي، النكت و العيون، تح عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج 1، ص418.
4- ينظر: محمّد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن، ص 66.
5-الزمخشري، الكشاف، ص 190، 191.

وعليه يكون وجه الشبه بين الصورتين حاصل في عدم الفائدة والجدوى وانعدام الثمرة، فنفقة الكافر مردودة وإن كانت في سبيل الخير، كما أن الزرع الخصب المثمر الذي يصيبه الريح الصّر البارد يذهب هباء منثورا.

واختيار لفظ الصّر من لغة العرب مقصود، قال الدكتور مُحَمَّد حسين علي الصغير: "صّر، كلمة لا يسد غيرها مسدها في المعجم بهذه الدلالة الصوتية الخاصة لما تحمله من وقع تصطك له الأسنان، و يشدّد معه اللسان، فالصاد الصارخة مع الراء المضعفة قد ولّدتا جرسا يضفي صيغة الفزع وصورة الرهبة فلا الدفئ يستنزل ولا الوقاية تتجمع بما يزلزل وقعة "كيان الإنسان".[1] وقوله: "فيها صّر" : أفادت شدة برد هذه الريح، حتى كأن جنس الصّر مظروف فيها، وهي تحمله إلى الحرث.[2]

أما معنى الكلمة فكما تقدّم سابقا فهي تدل على البرد الشديد وتدل على النار والإحراق، ولهذا يكون استعمال هذه اللفظة مقصودا لما حَوته قوة وجزالة في اللفظ ومبالغة في المعنى.

أما كلمة الريح في الآية، فقد وردت مفردة و تأويل ذلك عند المفسرين: أن إفراد الريح مخصص بالعذاب، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الأحقاف:24]،﴿ **وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا**﴾ [الروم: 51]، ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا**﴾ [القمر:19]، والجمع مختص الرحمة، **قال تعالى:** ﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾[الحجر: 22]، ﴿ **يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا**﴾، [الأعراف: 57].[3]فصفة هذه الريح الصّر لوحدها تقذف الرعب والهلع في النفوس فهي مهلكة لا محال، ولم يكتفِ سبحانه بالتلميح بل زاد تأكيدا بقوله" فأهلكته"، والضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم

1- مُحَمَّد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص 240.

2- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج 4، ص 61.

3- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج9، ص 252.

ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول، أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم فأهلك حرثهم.[1]

فحاشى لله أن يظلم عباده لأنه صاحب العدل المطلق و الحكمة البالغة فيعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء، و قد تكرر في الآية فعل"ظلم" ثلاث مرات فقال سبحانه: "ظلموا أنفسهم"،" وما ظلمهم الله"،" و لكن أنفسهم يظلمون" تأكيد على المعنى.

- التعريف باسم الإشارة "هذه" إشارة للمسمى "الحياة الدنيا" يحمل معنى التخصيص؛ لأنهم لا يؤمنون بالأخرة. والتنكير في "ريح" لبيان الجنس، و"صرّ" تنكير لبيان عظمة الريح وقوتها.

3.3 قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿39﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:39،40]

(**و الذين**) **الواو** حرف استثناء، (**الذين**) اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ، (**كفروا**) فعل ماض مبني على الضم و**الواو** في محل رفع فاعل، (**أعمالهم**) مبتدأ مرفوع،(**هم**) ضمير في محل جار مضاف إليه، (**كسراب**) الكاف حرف جر، (**سراب**) اسم مجرور والجار والمجرور في محل رفع خبر وجملة (**أعمالهم**) في محل رفع خبر لمبتدأ الذين، (**بقيعة**) جار ومجرور، (**يحسبه**) فعل مضارع والهاء ضمير مفعول به، (**الظمآن**) فاعل، (**ماءا**) مفعول به.[2]

(**أو**) حرف عطف، (**كظلمات**) جار و مجرور معطوف على كسراب، (**في بحر**) جار ومجرور متعلقان بمحذوف نعت لظلمات، (**لجّيّ**) نعت لجر مجرورة، (**يغشاه**) فعل مضارع مرفوع و الهاء مفعول به،(**موج**) فاعل مرفوع، (**من**) حرف جر، (**فوقه**) اسم مجرور، (**مود**) مبتدأ مؤخر،(**من فوقه**) جار ومجرور

1-ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 191.

2- ينظر: محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص 707 .

و **الهاء** مضاف إليه وهما متعلقان بخبر المبتدأ المقدم. (**سحاب**) مبتدأ مؤخر و (**ظلمات**) خبر لمبتدأ محذوف تقديره أي هذه ظلمات، (**بعضهما**) مبتدأ مرفوع و**الهاء** مضاف إليه في محل جر، (**فوق**) ظرف مكان منصوب وهو مضاف، (**بعض**) مضاف إليه مجرور.[1]

بعد سياق وصف المؤمن وبيان حاله التي لا تنفك عن السعي لرضا ربه وإيثار دينه عن دنياه، ثم ما يلقاه عند لقاء مولاه من نعيم وجنان أتبع ذلك بتمثيل أعمال الكافرين بالسراب والظلمات، إذ لم يكتف بذكر مثل واحد بل بين مآلهم وشناعة أعمالهم بمثلين قال ابن كثير: " هذان مثلان ضربهما الله تعالى للوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين ناريا ومائيا، وكما ضرب لما يقرّ في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين، مائيا وناريا، و لقد تكلمنا على كل منهما في موضعه بما أغنى عن إعادته ولله الحمد والمنة".[2]

فأما التمثيل الأول فقوله سبحانه: "والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء"، جاء في تفسير الجلالين: "كسراب بقيعة" جمع قاع أي فلاة وهي شعاع يُرى فيها نصف النهار من شدة الحر يشبه الماء الجاري، يحسبه: يظنه، الظمآن: العطشان.[3] والمعنى عند الزمخشري أنه: شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا.[4] وهو كذلك في ظلال القرآن: المشهد الأول يرسم لحال الكافرين وأعمالهم كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة يلتمع التماعا كاذبا فيتبعه صاحبه الظامئ وهو يتوقع الري غافلا عما ينتظره هناك.[5]

ووجه الشبه الحاصل بين الكافر والظمآن هي الحاجة لثواب العمل يوم القيامة والطمع في رضا المولى والفوز بالجنان، ثم لايلبث إلا أن يجد عمله هباء منثورا لا ثواب له بل بالعكس يجد عقبا وعذابا لاسبيل منه ولا مفرّ، فمثله مثل الظامئ الذي هو بحاجة ماسة للماء و إذ بالسراب يكون طمعا لا

1-ينظر: إبراهيم الكرباسي، إعراب القرآن، م5، ص 446.

2- ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1420هـ، 2000م، ص1339.

3-ينظر : جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، دار التقوى، القاهرة، مصر، د ط، .د ت، ص 355.

4-ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 732.

5- ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج18، ص2519 .

حقيقة. و المثل الثاني قوله سبحانه: "أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ"، جاء في تفسير الجلالين: "أو" : الذين كفروا أعمالهم السيئة، "كظلمات في بحر لجّيّ": عميق، "يغشاه موج من فوقه": أي الموج الثاني، "سحاب": غيم، "ظلمات بعضها فوق بعض": ظلمة البدر وظلمة الموج الأول وظلمة الموج الثاني وظلمة السحاب.[1]

قال فخر الدين الرازي: وأما المثل الثاني قوله " أو كظلمات في بحر لجّي" وفي لفظة أو هنا وجوه: "أحدهما" أعلم أنو الله تعالى بين أعمال الكفار إن كانت حسنة فمثلها بالسراب وإن كانت قبيحة فهي ظلمات "و ثانيها" تقدير الكلام أن أعمالهم إما كسراب بقيعة وذلك في الآخرة وإما كظلمات في بحر و ذلك في الدنيا "وثالثتها" الآية الأولى في ذكر أعمالهم والآية الثانية في ذكر عقائدهم فإنها تشبه الظلمات كما قال "يخرجهم من الظلمات إلى النور" أي من الكفر إلى الإيمان.[2]

والشاهد من هذا، أن المثل الثاني يصور مشهدا مريعا. للكافر الغارق الذي يتخبط في لجّة البحر والسحاب لا يكاد يرى شيئا من الظلمات، ومهما اختلفت التأويلات والرؤى في حقيقة هذا المصير أهو في الدنيا أم الاخرة، أو هو في سوء العمل أو حسنه أو في العقائد و غيرها يبقى المعنى العام واحد لا غبار عليه.

والمتأمل في تعبير القرآن الكريم يجد أنه استمد من ظواهر الطبيعة ليمثل بها حسب ما يستدعيه المقام، فهو يرى في السراب تشبيها لحال الكافرين وأعمالهم يوم القيامة ظانين بحسنها ونفعها وما هي بشيء: "فالمشبه صورة أعمال غير المؤمنين من حيث إنها قد تظهر جميلة خيرة، ولكنها في الحقيقة حابطة لا ثواب لها، والمشبه به حال سراب بفلاة يظنه الظمآن ماء يذهب إليه فلا يجده شيئا، أما وجه الشبه فهي صورة الشيء يخدع منظره ويسوء مُخبره".[3]

1-ينظر: جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، ص355.

2-فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، م 24، ص08 .

3-علي الجارم، مصطفي أمين، ص 41.

وهذا تشبيه تمثيل، شبه أعمال الكفار بالسراب لأن السراب يخدع صاحبه ويوهمه بغير الحق كذلك أعمال الكفارين، وهذا من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس.

وقد ذكر صاحب التحرير والتنوير أوجها لغوية من بديع نظم هذه الآية فقال: و قوله "بقيعة": الباء بمعنى في وقيعة :أرض والجار و المجرور وصف "لسراب" وهو وصف كاشف لأن السراب لا يتكون إلا في قيعة، و"حتى" ابتدائية فهي بمعنى فاء التفريع ومجيء الظمآن إلى السراب يحصل بوصوله إلى مسافة كان يقدرها مبدأ الماء بحسب تخيله، و"إذا" هنا ظرف مجرد عن الشرطية. والمعنى: زمن مجيئه إلى السراب. وجملة:"والله سريع الحساب" تذييل.[1] و كلمة الظمآن تضفي على المعنى إيضاحا وبيان: لأن الظمآن أشدحرصا عليه و تعلق قلبه به- الماء- ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يسير به إلى عذاب الأبد في النار.[2]

وقد التفت البلاغيون إلى بلاغة قوله"لم يجده شيئا" فقال الرماني: ثم وقوع كلمة "شيئا" مفعولا به و كان يمكن أن يقول "لم يجده ماء" و لكن كلمة شيء جعلته عدما مطلقا، ثم ذكر ضمير السراب حيث قال "لم يجده" و كان يمكن أن يقول لم يجد شيئا ولكن الضمير نص على الأمل المنشود، وفي ذلك إبراز للمغزى وخيبة الأمل، وفي كلمة "حتى" التي تشير إلى نهايةرحلة شاقة، ومعاناة طويلة، يتعب فيها الظامئ و يحفزه إليها الأمل، ثم في هذا الشرط الذي ربط العدم بالسعي وجعله جوابا ونهاية له.[3]

في الأخير نستنتج أن تشبيه أعمال الكفار بالسراب هو تشبيه حسن بليغ والمتتبع لأسرار هذا التعبير والعالم بها يكتشف قوة النظم وجزالة الألفاظ وإصابة التصوير للمعنى المراد.

أما التعبير الثاني فهو زيادة لوصف مصير الكافر الذي يتخبط في الظلمات المتراكمة. وأُختلف في هذا المصير أهو في الدنيا أم اللآخرة قال الألوسي: وجاز أن يكون المراد تشبيه أعمالهم

1-ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص252_253_254.

2-ينظر: مُحَمَّد حسن شرشر، لباب البيان، دار الطباعة المحمدية، ط 2، د ت، ص 53.

3-ينظر: مُحَمَّد مُحَمَّد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة هبة، القاهرة، مصر، ط 2، 1418هـ، 1997م، ص103.

بالسراب في الدنيا حال الموت ومن الثاني تشبيها بالظلمات في القيامة كما في الحديث: "الظلم ظلمات يوم القيامة".[1] أما الرازي فقد ذكر في الآية ثلاثة أوجه في تأويل السراب والظلمات سبق الحديث عنها والتمثيل فيها تشبيه المعقول بالمحسوس كما في السابقة: "فالمشبه؛ كما تقدمهم الكفار، أما وجه الشبه؛ صورة ظلمات متراكمة في لجِ البحر والموج والسحاب، أما وجه الشبه؛ فهو صورة أشياء قد تراكمت وخلت من النور فإن أعمال الكفار لبطلانها خالية من نور الحق والظلمات المتراكمة لا نور فيها".[2]

ولأن الكافر حاله ظلمة، واعتقاده ظلمة، ومصيره إلى الظلمة، فقد شبهت أفعاله بالظلمات المتراكمة ظلمة البحر والموج والسحاب مبالغة تعبر لنا عن مصيره المخيف في الدنيا والآخرة.

ثم تأمل في قوله "في بحر لجي:" أي ذي لج هو اللج، إشارة إلى أنه عميق لا يُدرك له قرار، لأن اللُج معظم الماء، ويكون جمع لجة أيضا، والأوفق هنا أن يكون منسوبا إلى الجمع، لأنه أهول و المقام للتهويل".[3] وأنظر إلى جمع الظلمات وكثرتها فقال سبحانه"ظلمات بعضها فوق بعض": "أي متكاثفة و متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى: "نور علو نور" بيان لغاية قوة النور".[4] وفي الأخير ختمها بقوله: "ومن لم يجعل له نور فما له من نور " والمقصود: أنه من لم يُوله نور وتوفيق الله ولطفه فهو في ظلمة الباطل وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الألطاف إنما تردف الإيمان والعمل لقول الحق:" والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا".[5]

وهذا مثل مركب يصور أعمال الكافرين تشبيه المجرد بالمحسوس، في الأول بيان لحالة خيبة الأمل وشدة الحاجة وقد مُثل بالسراب، والثاني بيان لمصير الكافر وشتاته واضطرابه النفسي وقد مُثل

1-ينظر:الألوسي، روح المعاني، ج 9، ص 373.

2-علي الجارم مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص41.

3-أبو الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ، 1995م، بيروت، لبنان، ج5، ص 270.

4-أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 182.

5-ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص732.

بتراكم الظلمات عليه، والتمثيل بعناصر الطبيعة ملائم لسياق الآية ومقرب لحالة الهول التي يعيشها الكافر ومصيره الشنيع في الدنيا والآخرة.

- تبدأ الآية بتعريف بذم أعمال الكافرين فهي في قوله "الذين كفروا"، والتنكير في "سراب" لتحقيرها فهي كسراب ضئيل تافه لا فائدة ترجى منه، ووراء ذلك ما وراءه من تعلق هذا الظامئ المحترق بالأمل وإن كان ضعيفا تافها.
- أما الجمع و التنكير في" ظلمات" غرضه المبالغة والتخويف.

4.3 قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 05]

(مثل) مبتدأ مرفوع، (**الذين)** اسم موصول في محل جر مضاف إليه، **(حملوا)** فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، و**الواو** لجماعة فاعل في محل رفع نائب فاعل، **(التوراة)** مفعول به، **(ثم)** حرف عطف،(**لم)** حرف نفي و جزم، **(يحملوها)** فعل مضارع مجزوم بحذف النون والواو لجماعة فاعل، **والهاء** في محل نصب مفعول به، **(كمثل)** جار ومجرور، وشبه الجملة في محل رفع خبر للمبتدأ "مثل"،**(الحمار)** مضاف إليه مجرور،(**يحمل)** فعل مضارع مرفوع و الفاعل مستتر تقديره هو، والجملة في محل نصب حال، **(أسفارا)** مفعول به منصوب.[1]

بينت سياق الآيات السابقة فضل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ليُعلم الكتاب و الحكمة للناس منتقلا لذم اليهود الذين كذبوا ببعثته ونبذوا العمل بالكتب التي أرسلت إليهم فضرب لهم مثلا:" فشبه اليهود ومن لم يسلم إذا لم ينتفعوا بالتوراةو الإنجيل وهما دليلان على النبي بالحمار الذي يحمل كتب العلم ولايدري ما عليها ".[2] كما جاء أيضا في قول السيد قطب: إن حملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وعالم الواقع، و لكن سيرة بني إسرائيل

1- ينظر: مُحَمَّد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص1103.

2- الفراء، معاني القرآن، تح: عبد الفتاح اسماعيل شلبيو آخرون، دار تراثنا، د ط، دت، ج 3، ص 155 .

كما عرضها القرآن لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة.[1] وقال القرطبي: " وهذا المثال تنبيه من الله لمن حمل الكتاب، أن يتعلم معانيه ويعمل بما فيه، لئلا يلحقه من الذم مالحق هؤلاء اليهود".[2]

نلاحظ انتخاب الحمار من بين سائر الحيوانات لأنه مثل حي للغباوة والغفلة وهو تشبيه يناسب اليهود في جهلهم ما يتركون العمل به من التوراة و الإنجيل كما في الآية تحذير لعامة المسلمين بأن لا يكون حالهم كحال الممثل بهم.

وتشبيه اليهود بالحمار الذي يحمل أسفارا صورة بما فيها من تركيب من أروع صور التمثيل: فوجه الشبه عدم الانتفاع بما هو حاصل وكائن فالحمار يمشي في طريقه وهو لا يحس بشيء مما يحمله على ظهره إلا بالكد والتعب وكذلك اليهود قرؤوا التوراة وحفظوها ثم أشاحوا عما انطوت عليه من دلائل على نبوة مُحَمَّد بن عبد الله.[3] وقد التفت الجرجاني إلى هذا التمثيل قائلا: "وبيان ذلك أنه أحتيج إلى أن يراعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهو الأسفار التي فيها أمارات تدل على العلوم، وأن يُثلث ذلك بجهل الحمار ما فيها حتى يحصل الشبه المقصود".[4]

وعليه فإن ذم وتحقير اليهود بوصفهم بالحمار نتاج يتعلق به تخليهم عن غرض شريف وفائدة عظمى كان أحرى لو تمسكوا بها وعملوا بمقتضاها، ليستصحبوا المنافع العظام، ويكونوا من الأخيار.

وكلمة "مثل" التي بدأت بها الآية دالة على وجود تصوير لشيء يجب التدبر والتفكر فيه قال الزمخشري: أستعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة.5 والمثل هنا لوصف حال اليهود العجيبة التي أصبحت تشبه بالحمار الذي يحمل أسفارا.

1-ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج28، ص3567.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص 456.

3- ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن، ج10، ص91.

4-الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1409هـ، 1988م، ص81.

5-ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص51.

وفي تفسير معنى "الحمل" قول آخر بعيد عن المعنى الظاهر المعروف، قال الرازي: ليس هو من الحمل على الظهر، وإنما هو من الحمالة بمعنى الكفالة والضمآن. ومنه قيل للكفيل الحميل، وقال الكسائي: حملت له الحمالة أي كفلت بها.[1]

فالمعنى هو عدم تحملهم وكفالتهم للأمانة التي أوكلت لهم، ثم إسقاط هذا المعنى مجازا على الحمل على ظهر الحمار الذي يُعرف بالغباوة والسذاجة وهذا من بديع التصوير.

وبعد مشهد المذلة والإستكانة في تشبيه اليهود بالحمار، يأتي الذم صريحا فقال الحق: "بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله "، وبئس: فعل ذم أي ساء حال الذين كذبوا بكتاب الله فهم قد ضموا إلى جهلهم بمعاني التوراة تكذيبا بآيات الله وهي القرآن، ثم ختم المثل فقال: "والله لا يهدي القوم الظالمين": وهو تذييل؛ إخبارا عنهم بأن سوء حالهم لا يُرجى لهم منه انفكاك لأن الله حرم اللطف والعناية بإنقاذهم لظلمهم بالاعتداء على الرسول بالتكذيب دون النظر وعلى آيات الله بالجحد دون تدبر.[2]

ونتيجة هذه الآية أنها مثل من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس يعرض صورة اليهود خاصة الأحبار في أقبح صورة وتمثيل، لذا كان التذييل أنسب ما يكون عقب ذكر هذا المثل، والمعنى تنبيه عام ليشمل المسلمين لحمل أمانة الدين وتبليغها.

- التعريف باسم الموصول في جملة"الذين حملوا التوراة ولم يحملوها"، إيماء بتقبيح هذه الفئة وذمها، فَهُم حملوا التوراة تلاوة وطقوسا ولم يحملوها ممارسة وسلوكا.

1- ينظر: فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، ج 30، ص05.

2-ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 28، ص214_215

➢ والألف واللام في كلمة"الحمار" لبيان الجنس مع حملها معنى الذم و السخرية، و تنكير كلمة "سفر"تأكيد على عدم فهم الحمار ما يحمل، وقال الزمخشري: "وفي تلك الصورة جاءت كلمة سفر نكرة إشعارا يعظم حجمها مع ما في لفظ الأسفار من معنى الكشف". [1]

4. حال المنافقين وأعمالهم:

1.4قال تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارافَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰت لَّايُبْصِرُونَ ﴿17﴾صُمُّۢ بُكْمٌ عُمْي فَهُمْ لَايَرْجِعُون﴿18 ﴾أَوْ كَصَيِّب مِّنَٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰت وَرَعْدوَبَرْق يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:17،18،19]

(**مثل**) مبتدأ مرفوع، (**هم**) ضمير متصل في حل جار مضاف إليه، (**كمثل**) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، (**الذي**) موصول في محل جر مضاف إليه، (**استوقد**) فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، (**نارا**) مفعول به منصوب،(**هم**) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم، (**بكم**) خبر ثاني مرفوع، (**عمي**) خبر ثالث مرفوع.[2]

(**أو**) حرف عطف للتفضيل، (**كصيب**) الجار والمجرور معطوفان على كمثل: وتقديره مضاف أي كأصحاب صيب، (**من السماء**) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لصيب، (**فيه**) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، (**ظلمات**) مبتدأ مؤخر، (**رعد وبرق**): معطوفان على ظلمات.[3]

جاء هذا المثل في بدايات سورة البقرة لتصوير حال المنافقين وبيان حقيقتهم ومصيرهم في الآخرة، وهو مثل صريح غرضه تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب، وما ضُربت المثال إلى الكشف والبيان وإماطة اللثام ورفع الستار، يقول تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[الحشر:21]. أما فيما قيل في تفسيره: إن الله سبحانه وتعالى شبههم-المنافقون-فياشترائهم

1- الزمخشري، الكشاف، ص31

2-ينظر : محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج1، ص 60.

3-ينظر : محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 1، ص48.

الضلالة بالهدى بمن استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها انطفأت وصار في ظلام شديد وهو مع هذا أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق أعمى لو كان ضياء لما أبصر.[1] فهم لم يُعرضوا عن الهدى ابتداءً، كما صنع الذين كفروا لكنهم استحبوا العمى بعدما استوضحوا الأمر وتبينوه فلم ينتفعوا به وهم طالبوه.[2]

نلاحظ في الآية كلمة "استوقد" التي تدل الألف والسين والتاء فيها على الطلب فهذه النار مستعارة كما كان الإيمان المدعى مستعارا ولم يكن نابعا من دواخلهم فعاقبهم الله بجعلهم في ظلمات لا يبصرون.

ولم يكتف السياق بهذا، لإظهار حقيقة المنافقين فأعقب ذلك بقوله سبحانه: "أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين"[البقرة: 19]. قال السعدي:"(ومثلهم كصيب) أي كصاحب صيب من السماء، وهو المطر الذي يصوب، أي: ينزل بكثرة، (فيه ظلمات) ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، (ورعد) وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، (وبرق) وهو الضوء اللامع المشاهد مع السحاب".[3]

لقد ضرب الحق سبحانه وتعالى مثلا مركبا صريحا ليناسب مقام الوعيد والتخويف فكانت الصورة الموضحة لحال المنافقين في الآخرة منفرة ورادعة عن التخلق بهذا الخلق السيء، الذي ليست له عاقبة سوى الحيرة والضياع والندم حيث لاينفع ذلك.

وقد صورت لنا هذه الآية حيرة المنافقين واضطرابهم تصويرا بلاغيا متميزا بداية بورود المثل مركبا على هيئة تشبيه المنافقين بصورتين مختلفتين كلاهما هيئة منتزعة من متعدد: " فقول الحق:" مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون" [البقرة :17] تشبيه تمثيلي فقد شبه حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر

1-ينظر : ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص93.

2-ينظر : سيد قطب، في ظلال القرآن، م1، ص46.

3- السعدي، تفسير السعدي، ص45.

كحال الذي استوقد نارا ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئا".[1] وهو الحال كذلك في قوله تعالى: " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين"[البقرة: 19]: فهو تشبيه تمثيل لحالهم إثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فإن تَفَنُنهم في فنون الكفر والظلال حقيق بأن يضرب في شأنهم الأمثال ويمد لشرحهم أطناب الإطناب.[2]

وعليه تكون الآية عبارة عن تشبيه تمثيل مركب بيّن الله سبحانه وتعالى فيه حال المنافقين فأطنب وأسهب في التمثيل لهم وهذا إن دل على شيء إنما يدل على خطورة صفة المنافق ومصير صاحبها.

وقوله تعالى: "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا" قيل كيف مُثلت الجماعة بالواحد؟: قالوا وُضع الذي مَوضع الذين، كقوله:"و خضتهم كالذي خاضوا"[التوبة:69] فالمنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقدين حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد و إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد نحو قوله: "ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت" [مُحَمَّد:20]. وهذا قول الزمخشري في كشافه.[3]وفي قوله سبحانه: "فلما أضاءت ما حولهم ذهب الله بنورهم". قال الزركشي فيها: لم يقل"بضوئهم" بعد قوله "أضاءت" لأن النور أعم من الضوء، إذ يقال على القليل والكثير، إنما يقال الضوء على النور الكبير والغرض من هذا الاستعمال إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا.[4]

نلاحظ أن الجزء الأول من المثل يحمل أسرار بلاغية زادت التمثيل لحال المنافقين بيانا وإيضاحا وصورت مشهد حيرة المنافق وذله وهوانه تصويرا لاق بالمقام.

1-شاكر عواد السامرائي، البيان القرآني وفنون البلاغة، ص 41.

2-محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، ج1، ص67.

3- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 51.

4-ينظر: مُحَمَّد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص248.

ثم ذكر صفاتهم – المنافقون–في تلك الظلمات فقال: "صم بكم عمي فهم لا يرجعون"[البقرة:18]. وقد عالج الزمخشري في كشافه وجه البيان في الآية ورأى أنها من قبيل التشبيه، إذ يقول: "هل يسمى ما في الآية استعارة؟، قلت: مختلف فيه، والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهو المنافقونوالاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خِلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام". [1]

يخرج لنا التشبيه الاستعارة بأنواعها عند حذف أحد الطرفين وهو المشبه به في المكنية والمشبه التصريحية، أما عن هذه الآية، فيرى الزمخشري أنه لا وجود لحذف أحد الطرفين لأن المستعار له مذكور "فهم المنافقون".

وكما أشرنا سابقا أنه سبحانه وتعالى ضرب للمنافقين مثلا مركبا لتصوير حال وهَوْل المنافقين يوم القيامة، فبعدما شبههم بحال الذي استوقد نارا، قال تعالى:"أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين " [البقرة:19]

وقد قيل في الكاف التي في قوله"كصيب": أنها لم تدخل على المشبه به لفظا بل تقديرا، إذ المراد "كمثل ذوي صيب" من السماء، وإنما قدّر المشبه به لأن الضمائر في قوله تعالى:" يجعلون أصابعهم في آذانهم"، احتاجت إلى تقدير المرجع وهو "ذوي" فلما فتح باب التقدير قدر المثل قبله ليناسب قوله تعالى: "كمثل الذي استوقد نارا".[2] أما عن قوله تعالى: "يجعلون أصابعهم في آذانهم"؛ فهو مجاز باتفاق أهل العلم حيث أطلق الكل و يراد به الجزء وهي "الأنامل" وحكمة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى أنهم يدخلون أناملهم في آذانهم بغير المعتاد، فرارا من الشدة فكأنهم جعلوا الأصابع".[3]

- التعريف بالموصول الذي لذم المنافقين حيث شبههم بمستوقد النار، وتنكير كلمة "نار" حسب ما جاء في الكشاف فهو للتعظيم ، أما تنكير "ظلمات" فأفاد الكثرة لغرض التهويل.

1–الزمخشري، الكشاف، ص52.

2– ينظر: محمّد حشن شرشر، لباب البيان، ص128.

3– محمّد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص160_161.

2.2 . قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:264]

(**فمثله**) الفاء:تعليلة، مثل: مبتدأ، الهاء : مضاف إليه، (**كمثل**)جار و مجرور متعلق بمحذوف خبر، (**صفوان**)مضاف إليه مجرور،(**على**) حرف جر، (**الهاء**) ضمير في محل جر متعلق بمحذوف خبر مقدم، (**تراب**) مبتدأ مؤخر مرفوع، (**الفاء**) عاطفة، (**أصاب**) فعل ماض، (**الهاء**) مفعول به،(**وابل**) فاعل مرفوع،(**الفاء**) عاطفة،(**تركه**) مثل أصابه و الفاعل هو الوابل، (**صلدا**) مفعول به ثان منصوب.[1]

"صفوان: اسم للحجر الأملس، صلدا: أي صلبا أملس نقيا من التراب، الوابل: المطر الشديد وجمعه الوبل بالفتح فالسكون".[2]فالاستعمال القرآني لهذه الألفاظ دون غيرها مقصود ليلائم المقام، و ينقل المعنى من البساطة إلى القوة و الجزالة، يقول السامرائي:"صفوان" تعطي صورة الحجر المتكلس الذي يجتمع من ذرات غير قابلة للانفصال، يتماسك و يترامى بعد ان يخالطه التراب، فلا يضره تساقط المطر وتدافع السيول، فبدلا من أن يهيش و يلين و يتفت إذ به يعود كتلة حجرية، و كلمة "وابل" دالة على الغيث المنهمر، و المطر المتدافع، و تلمح مجازا إلى الجود، فهل يا ترى أن سيؤدي بضم هذه الصفات جميعا لفظا سواها، نعم قد يؤدي معناها بعدة كلمات و إذا تم هذا فهو يعني الخروج عن الإيجاز المتوفر في "وابل" إلى الإطناب.[3]

والحق أن ألفاظ العربية تتيح هذه الميزة، فتعبر عن عدة معاني بلفظ واحد يحملها بل يكون أبلغ وأوجز فيالاستعمال بعيد عن الإطناب. وقد جاء في تفسير هذا المثل قول الزمخشري: لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كإبطال المنافق الذي ينفق ماله ولا يريد بإنفاقه ثواب الآخرة، فمثله ومثل نفقته كحجر

1- ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، م2، ص48.

2-فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، مؤسسة البعثة، بيروت لبنان، 1416هـ، ج3، ص556.

3-ينظر : شاكر عواد السامرائي، لباب البيان، ص243_244.

أملس عليه تراب أصابه مطر عظيم فتركه نقيا من التراب الذي كان عليه.[1] وهذا من أبلغ المثال لأنه يتضمن تشبيه المنفق المرائي بالحجر لشدة صلابته وعدم الانتفاع به وتضمن تشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار، والوالب الذي أزال ذلك التراب عن الحجر بالمانع الذي أبطل صدقته و أزالها.[2]

نلاحظ من سياق هذه الآية أن المخاطبة جاءت صريحة واضحة للمؤمنين مهملة ما عداهم؛ لأن الإيمان يمنع صاحبه من ارتكاب الرذائل، وقد شبه الزمخشري المرائي الذي يخرج الصدقة لا يبغي بها وجه الله إنما يريد منها حب الناس وثنائهم بالمنافق.

يقول شاكر السمرائي: " شبه إنفاق الأموال رئاء الناس، ثم اتباع ذلك بالمن والتطاول بالإحسان بالتراب الذي يوضع على الصخر الأملس يأتي عليه الوابل من المطر فيذروه ويذهب بهولا يترك له.[3]

فالرياء سِتارٌ رقيق يخفي القلب الغليظ، كما أن الصفوان تغشاه طبقة التراب التي يزيلها الوابل، ليكشف صلابة الصفوان.

ثم نلاحظ هنا كيف جاءت الآية القرآنية بأساليب بيانية تشد القارئ لها، أولها: صيغة الطلب (لا الناهية) بالأداة وكذلك بالجملة فقال: "لا تبطلوا صدقاتكم "والحال أن المتصدق لا يظن أن صدقته هذه لا ينال منها أجرا، بعد ذلك قال سبحانه " صدقاتكم" حيث أضيفت الصدقات إلى ضمير خطاب الجماعة وكأن السياق هنا يريد أن يثير المشاعر تجاه هذه الصدقات بنسبتها إلى المؤمنين، "فمثله كمثل صفوان عليه تراب": تقوم الفاء هنا بربط ما بعدها بما قبلها، أي فمثل المرائي في إنفاقه وحالته العجيبة كمثل حجر أملس عليه تراب. وتأمل لفظ (صلْدا) وكيف اِستطاع أن يعبر عن المشهد المتروك على الحجر بعد ذلك الوابل الشديد.[4] وقول ابن عاشور في الجملة الأخيرة من

1-ينظر : الزمخشري، الكشاف، ص312.

2 -ينظر :ابن القيم، التفسير القيم، ص160.

3- شاكر عواد السامرائي، البيان القرآني و فنون البلاغة، ص243.

4- ينظر: سميرة عدلي محمد رزق، وجوه البيان في أمثال القرآن، ص86_88.

المثل والله لا يهدي القوم الكافرين:" تذييل والواو اعتراضيةوهذا التذييل مَسُوقٌ لتحذير المؤمنين لتسرب أحوال الكافرين إلى أعمالهم، فإن من أحوالهم المنُ على ما ينفقون".[1]

ختامًا نستنتج أن الحق سبحانه ضرب مثلا قاصدا به المؤمنين يحذرهم من فعل شنيع ألا وهو" الرياء" الذي يفسد القلب ويبطل الصدقات، كمثل الحجر الذي يغطيه التراب فيصيبه وابل فيتركه صِلدا يكون بوابة لهم للميل عن الإيمان والانسياق للنفاق.

- والمراد بالموصول "الذي" الجنس، وليس المراد به التعيين، فالمعنى تشبيه بعض المتصدقين المسلمين الذين يتصدقون طلبا للثواب لكنهم يعقبون صدقاتهم بالمنِ والأذى بالمنفقين الكافرين الذين ينفقون أموالهم رياءً، فهم لا يطلبون أجر الآخرة، ووجه الشبه هنا عدم الانتفاع من تلك الصدقة والغرض هو تفظيع المشبه به.

3.4 . قال تعالى:﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة:275]

(**الذين**) اسم موصول في محل رفع مبتدأ، (**يأكلون**)، فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، **واو** الجماعة فاعل، (الربا) مفعول به بفتحة مقدرة، (**لا**) حرف نفي، (**يقومون**) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، واو الجماعة فاعل، (**إلا**) حرف حصر، (**كما**) الكاف: حرف حر، (**ما**)حرف مصدري، (يقوم) فعل مضارع مرفوع بالضمة، (**الشيطان**) فاعل مرفوع بالضمة، (**من**) حرف جر،(**المس**) اسم مجرور.[2]

1-الزمخشري، الكشاف، ص50.

2-ينظر : محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص91.

بعد ما جاء سياق الآيات الفائتة مادحًا ومحُثا على ما يزُكي مال المسلم ويطرح فيه البركة والخير، جاءت هذه الآية بتنفير واضح على ما يربي المال ويمحقه ويطرح فيه الفساد والخسران، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[البقرة:278]

لقد أجمع الكثير من المفسرين على أن الحالة التي وصفتها الآية لآكلي الربا هي حالة خروجهم من القبر، قال الطبري: الذين يأكلون الربا يقومون في الآخرة من قبورهم كالذي يتخبطه الشيكان من مسّه إياه وهو الذي يخنقه فيصرعه. [1] وقال ابن عاشور. "والآية على المعنى الحقيقي وَعيدٌ لهم بابتداء تعذيبهم من وقت القيام للحساب إلى أن يدخلواالنار".[2]وقوله: " (بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) أي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه كاستحلاله".[3]

فالربا آفة اجتماعية خطيرة نهانا عنها ربنا تعالى عن طريق تخويفنا بهذه الآيات التي تعطي لنا تصورا عن مصير من يأكل الربا يوم القيامة والعذاب الذي سيلقاه.

للآية أسلوب بديع في تصوير مصير آكلي الربا: "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس" شبه آكلي الربا عند خروجهم من أجداثهم بمن أصابه مسٌ فاِختل طبعه، وانتكست حاله وصار يتهافت في مشيتِه ثم يهوي مكبّا على وجهه من سوء الطالع وقبح المنقَلب.[4] وقوله تعالى: (إنما البيع مثل الربا) تشبيه مقلوب فهم يريدون القول بأن الربا مثل البيع ليصلوا إلى غرضهم وهو تحليل ما حرّمه الله، فعكسوا الكلام للمبالغة وهو في علم البلاغة مرتبة عُليا يصبح المشبه به قائما وتابعا له".[5]

1-ينظر : الطبري، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص170.

2-ينظر : الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج1، ص81.

3- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ص266.

4- ينظر:محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م 1، ص429.

5- شاكر عواد السامرائي، البيان القرآني و فنون البلاغة، ص256 .

إذن المشبه هو آكلوا الربا، والمشبه به هو الذي يتخبطه الشيطان، ووجه الشبه منتزع من متعدد وهو الجنون والتخبط والانتكاس والهلع وغيرها، هذا لأنهم قد استسهلوا الربا وجعلوه مساويا للبيع فجزاءهم من جنس أعمالهم.

- بما أن سياق الآية، سياق ذم وترهيب من فعل شنيع هو الربا، فقد جاءت الكلمة مُعَرفة باللام للعهد، قال القرطبي:الألف واللام هنا للعهد، وهو ما كانت العرب تفعله كما بيناه، أي على حسب ما كان معروفا بينهم.[1]

- وجاء التشبيه في قوله" الذي يتخبطه"، معرفا بالاسم الموصول لتصوير العذاب الشنيع الذي يلقاه العامل بالربا.

4.4 قال تعالى:﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: 20]

(**يقول**) فعل مضارع، (**الذين**) فاعله، (**لولا**) حرف تحضيض، (**نزلت**) فعل ماض مبني للمجهول، (**سورة**) نائب فاعل، (**الفاء**) عاطفة، (**إذا**) ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، (**أنزلت**) فعل ماض مبني للمجهول، (**سورة**) نائب فاعل، (**رأيت**) جملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم،(**الذين**) مفعول به، (**في قلوبهم**) خبر مقدم،(**مرض**) مبتدأ مؤخر، (**ينظرون**) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون و الواو فاعل، (**و نظر المغشي**) مفعول مطلق، (**عليه**) متعلقان بالمغشي لأنه اسم مفعول، (من **الموت**) متعلقان بالمغشي أيضا.[2]

سيق هذا المثل في سورة مدنية، وقد بدأت قرون نفاق المنافقين تظهر فجاءت مواضيع الآيات تصف حالهم وتحدث عن أخبارهم، قال فخر الدين الرازي: "لما بين الله حال المنافقين والكافر

1-ينظر: القرطبي، الجماع لأحكام القرآن، ج3، ص358.

2- ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، م9، ص 217.

والمهتدي والمؤمن عند استماع الآيات العلمية من التوحيد والحشر وغيرهما...اتبع ذلك بيان حالهم في الآيات العملية فإن المؤمن كان ينتظر ورودها، ويطلب تنزيلها، وإذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلاّ أمرت بشيء من العبادة، والمنافق كان إذا نزلت الآية فيها تكليف كره ذلك.[1]

"فشبه حالهم بقوله: "نظر المغشي عليه من الموت" أي تشخص أبصارهم جُبنا وهلعا وغيظا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت".[2]

وقوله تعالى: "ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت" تشبيه بليغ جاء في صيغة مفعول مطلق قال ابن عاشور:" وانتصب" نظر المغشي عليه من الموت "على المفعولية المطلقة لبيان صفة النظر في قوله "ينظرون إليك" فهو على معنى التشبيه البليغ" ووجه الشبه ثبات الحدقة وعدم التحريك".

فالواضح أهم لو كانوا مؤمنين حقا لتمنوا الجهاد والموت في سبيل الله لكن كرههم له وخوفه منهم جعل أمارت المنافقين تظهر عليهم فأصبح حالهم كحال من غشيه الموت.

- من أسرار بيان هذه الآية هو الحديث عن فئة المنافقين عن طريق الكناية لهم باسم الموصول في قوله" الذين في قلوبهم مرض"والغاية هي الذم والمقْتُ، والتنكير في "مرض" للعموم؛ فلا يهم نوع المرض بل المهم أنه مرض يطبع على القلب فيضل صاحبه ويبعده عن الهداية.

1- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج28، ص62.

2- الزمخشري، الكشاف، ص1021.

5. مثل نور الله وهدايته:

1.5 قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النور: 35]

(**كمشكاة**) متعلق بمحذوف خبر المبتدأ "مثل"، (**فيها**) متعلق بخبر مقدم للمبتدأ "مصباح"، (**في زجاجة**) خبر المبتدأ "مصباح"، ونائب الفاعل لفعل "يوقد" ضمير مستتر تقديره هو يعود على المصباح. (**من شجرة**) متعلق بـ"يوقد" بحذف مضاف أي من زينة شجرة "مباركة زيتونة لا شرقية" صفات لشجرة مجرورة، (**لا**) زائدة لتأكيد النفي، (**غربية**) معطوفة على "شرقية" بالواو، (**الواو**) حالية (**لو**) حرف شرط غير جازم، (**نور**) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، (**على نور**) متعلق بنعت لـ"نور" الأول، (**لنوره**) متعلق بـ"يهدي"، (**للناس**) متعلق بـ"يضرب" (**وبكل**) متعلق بـ"عليم" وهو خبر مرفوع.[1]

سورة النور من عظام الصور استحقت هذه التسمية المميزة لأنها احتوت على آية عظيمة وهي قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا.....﴾، والمعنى بالإجمال كما جاء في المختصر الجامع في بيان التفسير: (الله نور السموات و الأرض) فيها ثلاث أقوال أحدها: هادي أهل السماوات والأرض، (مثل نوره) فيها أربع أقوال أحدها ترجع لله و الثاني ترجع إلى المؤمن والثالث أنها لمحمد والرابع ترجع إلى القرآن، (كمشكاة) ثلاث أقوال أحدها أنها في موضع الفتيلة من القنديل، (المصباح في زجاجة) أي نار المصباح في زجاجة ليكون النور أضوأ، (كوكب دري) قَولان: أنه الزهرة و الثاني أحد الكواكب دون تعيين، (والدري) شديد الإضاءة، (من شجرة) من زيت الشجرة، (لا شرقية و لا غربية) أحد الأقوال فيها أنها في الصحراء لا يضلها جبل ولا كهف ولا

1- ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، ج18، ص263.

يواريها شيء، فهي أجود لزيتها.[1] وما اكتسبت الآية القوة والعظمة إلا لحديثها عن سلطان الله عزوجل في هذا الوجود ففيها يخبر سبحانه عن نفسه، يقول السيد قطب:"وهو مثل يُقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود، ويرسم النموذج المصغر الذي يتأمله الحس، حين يقصر عن تملي الأصل، فهو يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير".[2]

إن الحديث عن نور الله سبحانه وتعالى أن الأمور التي يعجز إدراك العقل البشري القاصر عن تصورها، لذلك مثل الحق لنوره بأمور حسية واقعية ليقرب له الصورة بما يألف ويعرف.

وقد اشتملت الآية على ألوان من صور البيان والبديع نذكر منها أولا: "التشبيه التمثيلي، حيث شبه نور الله الذي وضعه في قلب عبده المؤمن بالمصباح الوهّاج الموضوع في كوة داخل زجاجة تشبه الكوكب الدري من الصفاء والحسن، فهي صورة منتزعة من تعدد وهو من روائع التشبيه".[3]وذكر الكرخي تأويلا لسبب تمثيل نور الله في قلب المؤمن بالمصباح دون نور الشمس مع أن نورها أكمل: "لأن المقصود تمثيل النور في القلب، والقلب في الصدور، والصدر في البدن، بالمصباح والمصباح في زجاجة، والزجاجة في قنديل".[4]

إذن فالتشبيه التمثيلي في هذه الآية من قبيل تشبيه المعقول الذي تعجز الأذهان الوصول إليه بالمحسوس، وقد مرّ بنا في أمثال سابقة، غير أن ما يميز هذا المثل هو حديثه عن نور الله سبحانه الذي يشمل الكائنات جميعا، فكان التمثيل له بالمصباح الذي زجاجته مع الكوكب الدري والزيت في غاية الجمال والإبداع.

1-ينظر : أبو عبد الله عبد السلام بن محمّد بن عمرعلوش، المختصر الجامع في بيان وجوه التفسير و أسباب النزول، مكتبة الرشيد، ط1، 1424هـ، 2003م، ص797_798.

2- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج18، ص2519.

3- محمّد حسن سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن، ص201.

4- محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، ج18، ص265.

ثم تأمل الاختيار القرآني لكلمة مشكاة وما تحيل إليه من دلالات، خاصة وقد تداولتها عدة لغات: لأن المشكاة عند العرب: الكوة الصغيرة التي لا منفذ منها، وقيل في لسان الحبشة: الكوة، فإن قيل كيف جاز أن تخاطب بذلك مع قوله تعالى" بلسان عربي مبين" فالجواب أنه جائز اتفاق الاسم الواحد في لغتين".[1] أما تقديم المشكاة على المصباح في قوله" كمشكاة فيها مصباح" ولم يقل" كمصباح فيه مشكاة": إذ لا يقتضي أصالة لفظ مشكاة في الهيئة المشبه بها دون لفظ " مصباح" بل موجب هذا الترتيب مراعاة الترتيب الذهني في تصور هذه الهيئة المتخيلة حيث يلمح الناظر إلى انبثاق النور ثم ينظر إلى مصدره فيرى مشكاة ثم يبدو له مصباح في زجاجة.[2]

فاللفظة تحمل دلالة اجتماعية بين لسانين من البشر، كما أن وقعها في السياق بهذه الهيئة وهذا الترتيب له بالغ الأثر في تصوير معنى النور الإلهي.

- بدأت الآية بلفظ الجلالة "الله" لبيان الجنس، وتنكير "نور" للتعظيم، والتشبيه في قوله: "كمشكاة" تنكير لبيان النوع.
- جاء في كتاب الميداني:" اللام في المصباح وفي الزجاجة عهدية، ونلاحظ أنه يمكن أن يقع الضمير موقعها، فيقال فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دُريٌ ولكن تضعف فيه الأداء البياني لو استخدم الضمير بدل المعرفة باللام فالداعي هنا جمالي".[3]
- وتنكير "نور على نور" للتكثير والمبالغة؛ فليس هو نور واحد معين، وليس هو مجموع نورين، بل هو عبارة عن نور متضاعف فوق نور متضاعف ليدل التعبير على الفخامة والمبالغة لهذا النور.

6. بيان حقيقة الدنيا الفانية:

1.6 . قال تعالى:﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي

1-محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص244.

2-ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج22، ص235.

3-عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها، ج1، ص440.

الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20]

(**كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما**) الكاف خبر لمبتدأ محذوف، وجملة أعجب الكفار نعت لغيث والكفار مفعول مقدم لأعجب وهم الزراع ونباته فاعل مؤخر ثم حرف عطف ويهيج فعل مضارع مرفوع وفاعله هو يعود إلى النبات، فتراه عطف على يهيج وفاعل تراه أنت والهاء مفعول به، مصفرا حال، ثم يكون حطاما.[1]

جاء في تفسير ابن عاشور: ضرب لهم مثل الحياة الدنيا بحال محَقرة على أنها زائلة تحقيرا لحاصلها وتزهيدا فيها.إذ يجب أن تُتَخذ وسيلة للنعيم الدائم في الآخرة، ووقاية من العذاب الشديد.[2]

والطبيعة حاضرة في التمثيل لهذا المثل فقد ساق المولى عزوجل ألفاظا مثل الغيث والزرع والنبات والحقل والحطام وغيرها ما جعل التصوير بديعا والمعنى رفيعا.

فالكافر في اللغة هو الزارع، ولكن اختياره هنا فيه تورية وإلماع إلى إعجاب الكفار بالحياة. " ثم يهيج فتراه مصفر" للحصاد فهو موقوف الأجل ينتهي عاجلا، ويبلغ أجله قريبا، " ثم يكون حطاما" وينتهي شريط الحياة كلها بهذه الصورة المتحركة المأخوذة من مشاهدات البشر المألوفة، ينتهي مشهد الحطام.[3]

نستنتج أن الدنيا في سرعة زوالها وانقضاءها كمشهد الزرع الذي يهيج ويشتد ثم يصفر فيصبح حطاما لا يبقى منه شيء، ومهما طالت تظل وسيلة لحصاد الآخرة لا غير.

والمشهد المصور المعبر عن الحياة الدنيا، مشهد حي متحرك يبدأ ببيان حقيقتها والحث عن العمل منتقلا إلى مظهر من مظاهر الطبيعة المعتاد الخاص بفترة المحصول الزراعي. فيصبح حطاما لا فائدة منه والصورة تشبيه: " فالمشبه حال الدنيا في سرعة انقضائها، والمشبه به: مطر أنبت زرعا فنما وقوي

1- ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج9، ص469.
2-ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص400.
3-ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج27، ص3491.

وأُعجب به الزراع، ثم أصابه آفة فيبِس واصفر وتفتت، أما ووجه الشبه: فهو صورة شيء يعجب الناظرين في أول أمره، ثم لا يلبث أن تزول نظارته ويسوء حاله.[1]

والربط بين زوال الدنيا وفناءها مع زوال الزرع وهلاكه، بهذا الترتيب المنطقي الذي يبدأ بمراحل اللهو واللعب في الصغر إلى التكاثر في الأموال والأولاد في الكبر، يرسم صورة فنية تحاكي المعنى المراد.

وتأمّل بداية المثل في قوله " اعملوا ": وهي صيغة لفعل أمر حقيقي،جاء تذكيرا وتنبيها إلى أن الحياة زائلة وعلى الإنسان أن يتعض ويعمل لدار القرار.[2]ثم شرع بسرد مراحل تطور الإنسان في هذه الحياة: فبدأ باللعب، وهو ما يقع في دور الطفولة والصبا، ثم ذكر اللهو وهو ما يكون في دور الفُتوة والشباب ثم ذكر الزينة وهو مقصد من مقاصد الشباب والنساء، ثم ذكر التفاخروهو أكثر من شأن الرجال فيفتخرون بأحسابهم وأنسابهم، ثم يأتي دور التكاثر في الأموال والأولاد، وقدم الأموال على الأولاد لأن التكاثر في الأموال أكثر وختم بالأولاد لأنهم أجل ما يذكر.[3]

ليُوحي لك أيها الإنسان أن حياتك وإن طالت وأنت تمر في أطوارها وتعيش مراحلها، لا تغرك زينتها فهي تشبه الزرع الذي يغلظ ويشد ثم ما يلبث حتى يصفر ويضمحل.

وأسلوب القصر في الآية بـ "إنما" قد ضمّ الحياة الدنيا وما يلحقها من لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر: "وهو قصرادعائي بالنظر إلى ما تنصرف إليه همم غالب الناس من شؤون الحياة الدنيا".[4]

أما قوله " وما الحياة الدنيا إلا غرور": فهو قصر تخصيص المبتدأ بالخبر بطريقة النفي فقَصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا.[5]

1-علي الجارم و مصطفي أمين، البلاغة الواضحة، ص41.

2-ينظر: قاسم فتحي سليمان، دراسة بلاغية لصورة الحديد، مجلة التربية و العلم، قسم اللغة العربية،كلية التربية، جامعة الوصل، العراق، ج1، العدد1، 1431هـ، 2010م، ، ص167.

3-ينظر : فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، ص275.

4-الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص401.

5-ينظر: قاسم فتحي سليمان، دراسة بلاغية لصورة الحديد، ص177.

والملاحظ عن تكرار أسلوب القصر هو التأكيد على عدمِية الحياة وبأنها محطة سعي وعمل واجتهاد لا دارا للخلود والبقاء.

ثم ناسب فناء الحياة (ذاكرا) وزينتها ذاكرا مال الزرع فقال: "ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما": فقال "فتراه مصفرا"، ولم يقل "ثم يكون مصفرا" كما قال"ثم يهيج" و"ثم يكون حطاما" بإسناد الفعل إلى النبات، أي يراه الناظر مصفرا وذلك للدلالة على زوال الزينة وذهابها وليدل على موطن العبرة والاتعاظ، فإن ذلك يحصل بالرؤية،" ثم يكون حطاما "أي هذا مآله ولم يقل" فتراه حطاما" فلم يُعلق ذلك بالرؤية.[1] وقوله: " وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان " تقديم للعذاب على المغفرة مناسبة لذكر اللعب واللهو والزينة في البداية، كما أن العذاب يسبق المغفرة والرضوان فورود النار لجميع الخلق قبل الدخول في الجنة، كما أنه قدم المغفرة على الرضوان لأنها أسبق منه، ومقابلة العذاب الشديد بشيئين إشارة إلى غلبة الرحمة وأنه منباب (لن يغلب عسر عسرين).[2]

نستنتج مما سبق أن الحق سبحانه وتعالى قد ضرب لنا مثلا للحياة الدنيا بأطوارها المختلفة من طفولة وشباب وكهولة ووهرم ثم فناء، بأطوار الزرع من اخضراروشدة وغلظة واصفرار ثم هلاك، لغاية التحذير من الاغترار بها والسكون إليها.

- يُظْهر لنا التنكير في قوله: "لعب ولهو وزينة وتفاخر"حقارة الدنيا وسرعة انقضاءها، أما تنكير "غيث" للإطلاق؛ إذ إن نزول المطر وما ينبت بسببه سريع إلى الزوال، وجاءت "حطاما" لتظهر عمل الكافر في صورة الهباء المنثور، وقوله "عذاب شديد" بالتنكير غرضه التخويف والوعيد، والعكس في" مغفرة ورضوانا" فغرضها الترغيب والوعد بالأجر والثواب.

1-ينظر : فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، ص279.

2- المرجع نفسه، ص279.

ملخص الفصل:

يتناول هذا الفصل موضوعًا قرآنيًا له أهمية بالغة من ميدان علوم القرآن، وهو موضوع الأمثال القرآنية، واختصّ الفصل بدراسة قسم من أقسامها وهو الأمثال المدنية، وبما أن من خصائص الأمثال تنوع موضوعاتها، حاولنا في هذا الفصل بيان السّياقات التي تطرّقت لها الأمثال المدنية الصريحة، وأهمّ المسائل التي تضمّنتها، وتمثّلت هذه السّياقات في: الإيمان والكفر، حال المؤمنين وأعمالهم، حال الكافرين وأعمالهم، وحال المنافقين وأعمالهم، ومثل نور الله وهدايته، وبيان حقيقة الدنيا الفانية، وركّزنا في دراستها على وصف المستوى التّركيبي، ثمّ قمنا بإدراج آراء علماء التفسير في بيان معناها، كما ركّزنا على قضية التعريف والتنكير التي وردت في هذه الأمثال بأشكال عديدة، وبيّنا دلالاتها ومقاصدها التي تعدّدت وتباينت بحسب ما يريد المتكلّم ايصاله، بين تحقير وتعظيم، تخصيص وشيوع، تقليل تكثير، وغيرها.

خاتمـــة

خاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية مع الأمثال الصريحة في كتاب الله العزيز، نستعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها من بلاغة التعريف والتنكير فيها:

– لا يستقيم حمل الأمثال القرآنية على المعنى اللغوي وهو الشبهأو النظير، ولا يستقيم حملها على تعريف الأدباء من تشبيه المضرب بالمورد، كما ليس شرطا أن تحوي غرابة أو طرافة، لكنها صور مختلفة لمعان ترد للعبرة والاتعاظ، وتقريب ما يستعصي على العقول فهمه من الغيبيات كصفة الجنة والنار.

– المثل القرآني هو إبراز المعنى في صورة محسوسة تكسبه روعة وجمالا وتجعله أكثر إقناعا للعقل، وإمتاعا للأذن.

– المتأمل لمواقع الأمثال القرآنية يلحظ حجم العلاقة الرابطة بين المثل وسياقه، فقد تأتي الأمثال موضحة لآيات قبلها، وقد تأتي ممهدة لآيات بعدها. وكانت له أغراض كثيرة ومقاصد سامية، لكنها وإن تعددت فإنها تدور حول غرض رئيس؛ هو بيان مراد الله عزوجل، وبيان حقيقة الدين لغاية الترغيب في الحق والترهيب من الباطل.

– جمعت الأمثال القرآنية المدروسة في هذا البحث الإيجاز والإطناب حسب ما يستدعيه المقام والغرض المراد إيصاله.

– يعد التعريف والتنكير من الظواهر البارزة في اللغة العربية والمميزة لها ومن الأدوات الدالة على المعاني، فالمعنى الأصلي للمعرفة هو التعيين، والنكرة هو للإطلاق والتعميم، لكنّ وضعهما في سياق معين لغرض معين يخرجهما عن هذه المعاني الأساسية إلى أغراض بلاغية أخرى.

– للقرآن منهج فريد في انتقاء الكلمة القرآنية مراعيا لأبعادها الصوتية والصرفية، ولهذا فإن التغيير في تركيب تعبير القرآن بين التعريف والتنكير يرجع لعلة تليق بالمقام والغرض، وقد التفت المفسرون إلى الدلالات البلاغية التي يضفيها تعريف الكلام وتنكيره من خلال تفسيرهم لآيات الذكر الحكيم.

– تشترك الأمثال المكية والمدنية في هدف واحد يتمثل في التعليم وتقريب المعاني، كما توافقت في احتواءها على أركان التشبيه من ممثل له، وممثل به، وأداة تشبيه، والدلالة على وجه الشبه.

– من الفروقات بين الأمثال المكية و المدنية هو استخدام صيغة "ضرب" في الأمثال المكية **مثل قوله تعالى:** ﴿ ۞ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[النحل:75]، أما في الأمثال المدنية فنلاحظ إيثار كلمة "مثل" نحو قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[الجمعة:05].

– موضوعات الأمثال المكية والمدنية تشترك في بيان مسائل الإيمان والترغيب بها ومسائل الكفر والترهيب منها – وهذا ما تقرر سابقا– أما عن الفروق الموضوعية فهيكالآتي:

- اعتنت الأمثال المكية بإثبات التوحيد والنبوة والعبث، ونفي الشرك والوثنية، واستعملت في ذلك عدة أساليب منها:السخرية والتهكم من الآلهة المزعومة،المقارنة بين المؤمنين والكافرين، تعظيم كلمة التوحيد وتقبيح كلمة الشرك.

- أما الأمثال المدنية، إضافة لتقرير التوحيد ومحاربة الشرك، فقد اعتنت بمواضيع منها: بيان العبادات والمعاملات والحدود مع الحث على اكتساب القيم والفضائل،الأمر بالكف عن المن والأذى، مجادلة أهل الكتاب،الحديث عن المنافقين.

- التعريف والتنكير من الموضوعات التي لها أثر في الدلالة القرآنية، إذ يعمل على خلق دلالات متنوعة على أمثال القرآن الكريم تقوم على التعظيم والتحقير والمدح أو الذم والتكثير أو التقليل أو التهويل وغيرها من الأغراض.

- يأتي التنكير لفائدة يقصر عن إفادتها التعريف لما في النكرة في إطلاق وشيوع، يولد لنا معان عميقة من اللفظ، بخلاف المعرفة فإنها لواحد بعينه، يثبت الذهن عنده ويسكن إليه.

- تتشابه أغراض التعريف والتنكير في الأمثال المكية والمدنية، فهي لا تخرج عن دلالات التعظيم والتحقير، والمدح والذم، والتكثير والتقليل، وغيرها.

- التعريف في الموصولية في قوله: الذين كفروا، والذين ينفقون أموالهم، والذي استوقد نارا، وغيرها من التراكيب المشابهة ليس لتحديد فئة معينة في زمن معين، بل هو تحديد للصفة التي تشملهم وتشمل غيرهم في أي زمن كان.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادروالمراجع

* **المصحف الشريف (برواية حفص عن عاصم)**

– أولا: الكتب

1-إبراهيم الكرباسي (مُحَمَّد بن إبراهيم بن مُحَمَّد حسن الأصفهاني)، **إعراب القرآن**، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.

2- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الجزري الموصلي ت637هـ)، **جوهر الكنز**، تح: زعلول سلام، دار المعارف. الاسكندرية، مصر.

3-المثل السائر، تح: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، دط، دت.

4-أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، مطبعة الاعتماد، مصر، ط10، 1358-1939م.

5-أحمد مصطفى المراغي، **علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ-1993م

6-أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.

7-الألوسي (محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين)، **روح المعاني**، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1994م.

8-بن عاشور مُحَمَّد الطاهر، **تفسير التحرير والتّنوير**، الدار التّونسية، دط، دت.

9-بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تح: أبو الفضل الديمياطي، دار الحديث، 1427هـ-2006م.

10- البغوي (أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد الفراء ت516هـ)، **تفسير البغوي معالم التنزيل**،تح: مُحَمَّد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، السعودية، 1409هـ.

11-بهاء الدين السّبكي، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ-2003م.

12-بهجت عبد الواحد الشيخلي،**بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز**، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ-2001م.

13-بهجت عبد الواحد صالح، **الإعراب المفصل لكتاب المرتل**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 1، 1413 هـ، 1993م.

14-البيضاوي (عبد الله بن عمر ت685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تح وتع: مُحَمَّد صبحي ابن حسن، محمود أحمد الأطرش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ-2000م.

15-أبوتمام (حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ت231هـ)، **الحماسة**، تح: عبد الله ابن عبد الرحيم عسيلان، المجلس العلمي، السعودية، 1401هـ-1981م.

16-الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت255هـ)، **البيان والتبيين**، تح: عبد السلام هارون، دط، دت.

17-الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان ابن مُحَمَّد ت471هـ)، **أسرار البلاغة في علم البيان**، دار الكتب العلمية، بيوت، لبنان، ط 1، 1409هـ، 1988م.

18-جلال الدين السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي ت911هـ)، **الإتقان في علومالقرآن**، تح، مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، د ط، دت.

19-الإتقان في علوم القرآن، تح: الشيخ شعيب الأرنؤوط، تع: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، ط1، 1469هـ-2008م.

20-جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، **تفسير الجلالين**، دار التقوى، القاهرة، مصر، د ط، دت.

21-جماعة من علماء التفسير، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، ط3، 1436هـ.

22-الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد ت398هـ)، **تاج العروس**، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م.

23-أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1415هـ، 1995م.

24_ الحمزاوي (محمود بن مُحَمَّد نسيب بن حسين بن يحي حمزة الحسيني)، **در الأسرار**، تح: أسامة عبد العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011هـ.

25- أبوحيان الأندلسي (مُحَمَّد بن يوسف ب علي بن يوسف ت745هـ)،**تفسير البحر المحيط**، تح: عادل أحمد عبد الموجود،علي مُحَمَّد معرض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.

26-خالد عبد العزيز، **النحو التطبيقي**، دار اللؤلؤ، المنصورة، ط3، 1440هـ-2019م

27-الخطيب القزويني (مُحَمَّد بن عبد الرحمان بن عمر أبو المعالي جلال الدين الشافعي ت739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

28-الراغب الأصفهاني (الحسين بن مُحَمَّد بن المفضل ت502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار الباز، دط، د ت.

29-الرضي الإستربادي (مُحَمَّد بن الحسن ت686هـ)، **شرح الرضي على الكافية**، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996هـ.

30-الزبيدي (مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي)، **الواضح**، تح: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان، ط2، 2011م.

31- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن مُحَمَّد بن عمر الخوارزمي ت538هـ)، **الكشاف**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1340هـ-2009م-1922م.

32- **الكشاف**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1366هـ-1947م.

33-الزملكاني(كمال الدين مُحَمَّد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري ت727هـ)، **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**، تح: خديجة الحديثي، أحمد مطلوب، دار إحياء التراث.

34-ابن السراج (أبو بكر مُحَمَّد بن السري بن سهل ت316هـ)، **الأصول**، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1417هـ-1997م، ج1، ص148.

35-سعد الدين التفتازاني(مسعود بن عمر ت792هـ)، **المطول**، مكتبة الداوري، قم، إيران، ص مُحَمَّد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1430هـ-2009م.

36-السعدي (عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله بن ناصر) ، **تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان**، تح: عبد الرحمان ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ-2002م.

37-أبو السعود (مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

38-إرشاد **العقل السليم**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1999م.

39-سعيد الأفغاني، **الموجز في قواعد اللغة العربية**، دار الفكر، دط، دت.

40-السكاكي (يوسف بن أبي بكر ت626هـ)، **مفتاح العلوم**، تع: زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

41-سيد قطب (إبراهيم حسين الشاذلي)، **في ظلال القرآن الكريم**، دار الشروق، ط 32، 1423هـ ،2003م ، القاهرة، مصر.

42-سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ت180هـ)، **الكتاب**، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط2،دت.

43-شاكر عواد السامرائي، **البيان القرآني وفنون البلاغة من سورة الأنعام**، دار البسملة للكتاب، بغداد، ط1، 1444هـ-2022م.

44- **البيان القرآني وفنون البلاغة من سورة البقرة**، دار البسملة للكتاب، بغداد، العراق، ط 1، 1443هـ،2022م.

45- الشريف الجرجاني (علي بن مُحَمَّد السيد 816هـ)، **معجم التعريفات**، تح: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، دت.

46- الطبري (أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ت310هـ)، **جامع البيان في تفسير آيالقرآن**، تح: بشار عواد، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،ط1، 1415هـ-1994م.

47-عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، **الأمثال القرآنية**، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1400هـ-1980م.

48-عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ-1996م، ج1، ص411

49-عبد القادر حسين، **التفسير البلاغي الميسر**، دار الغريب، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

50- أبو عبد الله عبد السلام بن مُحَمَّد بن عمرعلوش، **المختصر الجامع في بيان وجوه التفسير وأسباب النزول**، مكتبة الرشيد، ط1، 1424هـ، 2003م.

51-عبده عبد العزيز قلقيلة، **البلاغة الاصطلاحية**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1412هـ-1992م.

52- علي الجارمصطفى أمين، **البلاغة الواضحة**، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط 1، 1439هـ، 2018م.

53-العكبري(عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء ت616هـ)، **التبيان في إعراب القرآن**، تح: مُحَمَّد علي البهاوي، دط، دت.

54-ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا القزويني الرازي ت395هـ)، **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، د ت.

55- فاضل صالح السامرائي، **معاني النحو**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ-2000م.

56 -**على طريق التفسير البياني**، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1438هـ-2017م.

57-فخر الدين الرازي (أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ت605هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت،لبنان، ط1، 1401هـ- 1981م.

58- فخر الدين الطريحي، **مجمع البحرين**، مؤسسة البعثة، بيروت لبنان، 1416هـ.

59- الفراء (أبو زكريا يحيي بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي ت207هـ)، **معاني القرآن**، تح: عبد الفتاح اسماعيل شلبيو آخرون، دار تراثنا،د ط، دت.

60-الفيروز أبادي (أحمد بن يعقوب مجد الدين الشيرازي ت817هـ)، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1429هـ-2008م.

61-القرطبي (مُحَمَّد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح ت656هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: عبد الله ابن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ-2006م

62-ابنالقيم (أبو عبد الله شمس الدين مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي ت751هـ)، **التفسير القيم**، تح: مُحَمَّد حامد الفقي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

63-**الأمثال في القرآن**، تح: سعيد مُحَمَّد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، د ت، 1981م.

64-ابنكثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر ت774هـ)، **تفسير ابن كثير**، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1385هـ-1960م.

65-تفسير ابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، لبنان،ط 1، 1420هـ،2000م.

66-ابنمالك (مُحَمَّد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني ت672هـ)، **شرح الكافية الشافية**، تح: عبد المنعم أحمد هريري، دار المأمون للتراث، ط1، 1406هـ-1986م.

67-الماوردي (أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب البصري ت450هـ)، **النكت والعيون**، تح: عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

68-المبرد (أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد بن عبد الأكبر ت286هـ)، **المقتضب**، تح: مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة، دار إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، مصر، ط2، 1399هـ-1979م.

69-ما **اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد**، تح : أحمد مُحَمَّد سليمان أبو رعد، سلسلة الرسائل القرآنية، ط 1، 1409هـ، 1988م.

70-المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي ت354هـ)، **ديوان المتنبي**، دار بيروت، 1403هـ-1983م.

71-مجاهد بن جبر (أبو الحجاج المكي المخزومي ت102هـ)، **تفسير مجاهد بن جبر**، تح: مُحَمَّد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1410هـ-1989م.

72-مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ-2008م.

73-مُحَمَّدإبراهيم شاوي، **علوم البلاغة**، دار اليقين، مصر، ط1، 1432هـ-2011م.

74-مُحَمَّد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، **علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.

75-مُحَمَّد بكر اسماعيل،**الأمثال القرآنية دراسة تحليلية**، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1406هـ-1979م.

76-دراسات **في علوم القرآن**، المكتبة الشاملة، دط، د ت.

77-مُحَمَّد حسن سلامة،**الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم**، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ-2002م.

78- مُحَمَّد حسن شرشر، **لباب البديع**، ط2، 1424هـ-2003م.

79- مُحَمَّد حسين علي الصغير، **الصورة الفنية للمثل القرآني**، دار الرشيد، د ط، دت.

80- مُحَمَّد سعد الدبل، **النظم القرآني في سورة الرعد**، عالم الكتب، دط، دت.

81- مُحَمَّد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1412هـ-1992م.

82- مُحَمَّد مُحَمَّد أبو موسى، **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، مكتبة هبة، القاهرة، مصر، ط 2، 1418هـ، 1997م.

83- مُحَمَّد محمود القاضي، **إعراب القرآن الكريم**، دار الصحوة، ط 1، 1431هـ، 2010م.

84- محمود سليمان الياقوت، **إعراب القرآن الكريم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، دت.

85- محمود صافي، **الجدول في إعراب القران الكريم وصرفه وبيانه**، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط3، 1416هـ-1995م.

86- محيي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد**، حمص، سوريا، ط3، 1412هـ-1992م.

87- مناع القحطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دط، د ت.

88- ابن منظور (مُحَمَّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري ت711هـ)، **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، د ت.

89- ابن هشام (أبو مُحَمَّد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمدبن عبد الله ت761هـ)، **شرح شذور الذّهب**، تح: محمّد أبو الفضل عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.

90-أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سعيد بن يحي بن مهران ت395هـ)، **الصناعتين**، تح: علي مُحَمَّد البجاوي، مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ-1952م.

- ثانيا: المجلات

1-عزيز سليم علي القريشي، **أثر التعريف والتنكير في دلالة المجاز القرآني**، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، كلية التربية، جامعة واسط، ج2، العدد28، 2018م.

2- قاسم فتحي سليمان، دراسة بلاغية، لصورة لحديد، مجلة التربية و العلم، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الوصل، العراق، ج1، العدد1، 1431هـ، 2010م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1- حمزاوي يزيد، **المدلولات التربويّة للأمثال القرآنيةدراسة تحليلية**، مذكرة ماجستير، قسم علم النفس، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 2006/2005م.

2- سميرة عدلي مُحَمَّد رزق، **وجوه البيان في أمثال القرآن**، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1987/1986م.

3- عيسات قدور سعد، **جماليات المثل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية**، مذكرة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغات والفنون، جامعة وهران، 2015/2014م.

4- هند بنت عبد العزيز بن عبد الله السويكت، **الأمثال القرآنية دراسة بلاغية تحليلية**، مذكرة ماجيستر، قسم البلاغة و النقد و منهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام مُحَمَّد ابن سعود، 1431/1430هـ.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

العنـــــــوان	الصفحة
آية	/
شكر وعرفان	/
مقدمة:	**أ–د**
الفصل الأول: المفاهيم الأساسية في البحث	
أولا: المثل القرآني:	7
1–تعريف المثل القرآني.	7
2–أقسام الأمثال القرآنية.	10
3–خصائص الأمثال القرآنية.	12
4–أغراض الأمثال القرآنية.	13
ثانيا: أسلوب التعريف والتنكير في البلاغة العربية:	18
1–البلاغة العربية.	18
2– أسلوب التعريف وأغراضه البلاغية.	23
3–أسلوب التنكير وأغراضه البلاغية.	36
ملخص الفصل	44
الفصل الثاني: بلاغة التعريف والتنكير في الأمثال المكية:	
1– سياق الإيمان والكفر.	46
2– سياق التوحيد والشرك.	55
3– سياق الشرك.	61
4– سياق الضلال بعد الهدى (الانتكاسة).	70
5– بيان الحق والباطل.	76
6– بيان حقيقة الدنيا الفانية.	78
ملخص الفصل.	82
الفصل الثالث: بلاغة التعريف والتنكير في الأمثال المدنية:	
1– سياق الإيمان والكفر.	84

2- حال المؤمنين وأعمالهم.	90
3- حال الكافرين وأعمالهم.	97
4- حال المنافقين وأعمالهم.	110
5- مثل نور الله وهدايته.	120
6- بيان حقيقة الدنيا الفانية	123
ملخص الفصل	127
خاتمة	129
قائمة المصادر والمراجع	133
فهرس المحتويات	143
ملخص	/

ملخص البحث:

تتجسد أرقى درجات البلاغة في الخطاب الرّباني، الذي أعجز أرباب الفصاحة والبيان، وتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، فهو المنبع الذي لاتتوقف أسرار بيانه وجمال أسلوبه، ولأن للمثل ميزة عن باقي الأساليب البيانية كونه أميل لخاطر الإنسان، وأعون شيء على البيان، كان للمثل القرآني الحظ من الدراسة، مركزين فيه على قضية بلاغية مهمة هي "أسلوب التعريف والتنكير" إذ يسعى البحث إلى الكشف عن فحوى تلوّن هذا الأسلوب، فقد يأتي اللفظ نكرة وقد يأتي معرفة، وفي كل موضع مقاصد وأغراض تناسب السياق وتزيد من عمق الدلالة.

الكلمات المفتاحية: المثل القرآني، البلاغة، التعريف والتنكير

Summary of Research:

The divine discourse showcases the utmost levels of eloquence، surpassing even the most skilled masters of rhetoric and expression، daring both humans and jinn to replicate it. It is the origin from which the eloquent secrets and stylish beauty continuously spring forth. Due to their natural appeal to the human mind and effectiveness in communication، Quranic proverbs have attracted considerable scholarly interest because of their unique advantage over other rhetorical styles. This research hones in on a significant rhetorical problem: the distinction between "definite and indefinite style." The objective of the study is to reveal the core of this stylistic difference، as words can be either vague or specific، with each case fulfilling functions and intentions that are appropriate for the situation and enrich the meaning.

Keywords: Quranic proverb, rhetoric, definition and indefiniteness